

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات  
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES  
(معهد الدوحة)



[www.dohainstitute.org](http://www.dohainstitute.org)

دراسات

العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح

(٣-٥-٥)

محمد جمال باروت

## سلسلة (دراسات)

## المحتوى

- ١ ..... استراتيجية حصار المدن.....
- ١ ..... العمليات العسكرية: الفتوحات الداخلية وموجات النزوح والاقْتلاع.....
- ٤ ..... عملية درعا (٢٥ نيسان/أبريل-١٥ أيار/مايو): موجة النزوح الأولى المبكرة:.....
- ٦ ..... عملية تل كلخ : موجة النزوح الثانية.....
- ٨ ..... جسر الشغور وجبل الزاوية: موجة النزوح الثالثة الكبرى وجوكر أردوغان.....
- ٨ ..... الخلفية الخاصة: انتفاضة الفلاحين المدمرين والعمال الزراعيين اليائسين.....
- ١٠ ..... "المعاد" الفاجع: مؤثرات الثمانينيات: نموذجاً كفر نبل وجسر الشغور.....
- ١١ ..... سيرورة الأحداث: الإرهافات الأولى.....
- ١٣ ..... استشهاد الشاب باسل المصري، و"غزو" شبان جبل الزاوية للجسر:.....
- ١٦ ..... بروز هرموش ونشوء مخيم الجسر: جوكر أردوغان.....
- ٢٠ ..... مجزرة حماة: من اليوم الدامي إلى عصيان حماة.....
- ٢٠ ..... بين حركات المركز وحركات الأطراف: نظرة مقارنة بين حماة وحمص.....
- ٢٢ ..... تطور الأحداث
- ٢٣ ..... المجزرة والعصيان المدنيّ الشامل:.....
- ٣٠ ..... حمص: انحطاط الصراع الاجتماعي- السياسي وتدهوره.....
- ٣٠ ..... جرائم الكراهية: اضطرابات أواسط تموز/يوليو.....
- ٣١ ..... عصيان البوكمال: العقيدات بعد "البقارة" في المواجهة:.....
- ٣٢ ..... خلاصة تركيبية للمستوى الأفقي لحركة الاحتجاجات: الأشكال الستة.....

## استراتيجية حصار المدن

### العمليات العسكرية: الفتوحات الداخلية وموجات النزوح والاقتلاع

شكّلت أحداث "الجمعة العظيمة"، أو بالأحرى "الجمعة الدامية"، في المدن الصغيرة والمتوسطة عموماً، وفي درعا خصوصاً؛ العاملَ الأساسي في تبني القيادة السورية استراتيجية الحلّ الأمني لاحتواء الأزمة بأساليب "القوة القاسية"، وتعليق الحلّ السياسي إلى حين إنجاز مهام الاستراتيجية الأمنية. وكان الوضع في درعا وفق المنظور الأمني هو الأخطر، إذ مثلت الحركة الاحتجاجية في درعا ومدنها كبرى الحركات الاحتجاجية في سورية كلّها، وأكثرها شدّة وكثافةً وتعبيراً عن العصيان الشعبيّ الشامل.

وفي هذا السياق صيغت نظرية "المؤامرة". وفسّرت في إطار صياغتها المنظومية و"خيالاتها" الأمنية عملية تمرد الشباب على "التسوية" بين السلطة و"وجهاء" درعا، وانقسامهم بين أنصار الشيخ الصياصنة إمام الجامع العمريّ الداعي للتسوية، وبين أنصار الشيخ رزق الله أبي زيد مفتي درعا المتعاطف مع الشباب<sup>(1)</sup>. وظهرت بوادر عملية تسلّح أولي وبسيطٍ لبعض المجموعات الشبابية، والهجمات "الغامضة" على بعض وحدات الجيش والشرطة<sup>(2)</sup>، وبروز محاولة بعض اللاعبيين السلفيين في الخارج ولا سيّما

<sup>1</sup> شهدت فترة اقتحام الجيش لدرعا حدوث انقسام واضح بين الصياصنة وأبي زيد، ففي حين سار الصياصنة على طريق التهدئة من منطلق أن درعا لا تتحمل دفع ضحايا إضافيين (قارن مع مقاله الصياصنة في المقابلة التي أجراها التلفزيون السوري معه، [http://www.youtube.com/watch?v=RdIFJh1KfFA&feature=player\\_embedded](http://www.youtube.com/watch?v=RdIFJh1KfFA&feature=player_embedded))، بينما قدم الشيخ رزق الله أبو زيد استقالته (من خطاب الشيخ رزق أبيزيد مفتي درعا يقدم استقالته في ٢٣/٤/٢٠١١ قارن مع النص الكامل في: [http://www.youtube.com/watch?v=KNE3jC\\_DbEg&feature=related](http://www.youtube.com/watch?v=KNE3jC_DbEg&feature=related)

<sup>2</sup> تواترت في هذه الفترة هجمات مجموعات "مسلحة" على الجيش وقوى الأمن الداخلي استشهد فيها حتى دخول درعا عشرات العسكريين بالفعل. وقد اتهمت السلطة مجموعات "سلفية" منظمةً ومسلحةً بالقيام بها، بينما اتهمت حركات الاحتجاج الأجهزة الأمنية بتنظيمها والقيام بها، لتبرير عملية قمعها، وتحويلها عن طبيعتها السلمية.

"السروريون"<sup>(٣)</sup> ممّن يملكون قواعد لهم أو نفوذاً في أوساط الشباب بحوران، لتطويع حركة الاحتجاجات إلى ثورةٍ شاملةٍ على النظام. ووصفت نظرية المؤامرة كل ذلك بأنه جزءٌ من "مؤامرة" متكاملةٍ تستهدف تحويل "درعا" إلى "بنغازي" سورية، وتشكيل مجلسٍ انتقالي فيها يقوده نائب الرئيس السابق المنشقّ عبد الحليم خدام<sup>(٤)</sup>.

يبدو أنّ الجدل في القيادة السورية الفعلية، التي تتركز فيها عملية اتّخاذ القرارات، كان حاداً بين أصحاب الحلّ الأمني وأصحاب الحلّ السياسي<sup>(٥)</sup>. وقد تمخّض هذا الجدل عن اتّخاذ قرار القيام بعملية عسكريةٍ محدودةٍ في درعا لتفكيك المجموعات "المسلّحة" التي قامت عليها التقارير الأمنية، على أن تنتهي في منتصف أيار/مايو، ليعلن الرئيس على إثرها عن بدء عملية الحوار الوطني<sup>(٦)</sup>، غير أنّ ما حدث هو تحوّلها إلى عملياتٍ شاملةٍ، واتّساع ميادينها من ثل كلخ إلى حمص ففسر الشغور وجبل الزاوية ثم البوكمال، تلتها دير الزور والمعرة وبنش وسرمين وتفتناز في ريف محافظة إدلب.

وفي هذه المرحلة توسّعت عمليات الجيش إلى خارج درعا، بهدف إخماد الحركات الاحتجاجية تحت عنوان مكافحة السلفيين. وبحلول ١٥ أيار/مايو ٢٠١١ كانت هذه العمليّات قد شملت الرستن (٤ أيار/مايو) إثر رفض وجهائها تسليم عدة مئات من الرجال المتهمين في حوادث "الشغب" الصاخبة في نيسان/أبريل<sup>(٧)</sup>، ثمّ بانياس (٥-٨ أيار/مايو)، التي حوصرت في هذه العملية، وقسمت بالحواجز، وتمّ اعتقال ما لا يقلّ عن ٢٥٠ شخصاً، كان بينهم الشيخ أنس عيروط والناشط بسام صهيوني وبعض أبناء عائلة البياسي<sup>(٨)</sup>. وشملت أيضاً دوما والنبل والكسوة (٤-٥ أيار/مايو)<sup>(٩)</sup>. وكذلك حملة الاعتقالات في سقبا

<sup>٣</sup> المتأثرون بحركة محمد سرور زين العابدين المعروفة بـ"السرورية"، وهي حركة سلفية إخوانية. وسرور هو من أبناء درعا، وقد انخرط في عملية التعبئة والتحرير. قارن مثلاً مع رسائله "تعلمت منكم أيها الشباب" (٢٣ نيسان/أبريل ٢٠١١)، و"يوم من أيام حوران المحيدة" (٢٠١١/٤/٣) الرابط: موقع الشيخ محمد سرور زين العابدين، <http://www.surour.net/index.php?group=view&gid=6&rid=833>

<sup>٤</sup> برزت مؤشرات ذلك من خلال الاتصالات الجانبية التي كان يجريها بعض موفدي الرئيس إلى بعض قيادات المعارضة الديمقراطية السورية في الداخل، ونقلهم عزم الرئيس على القيام بعملية إصلاحات شاملة، وتحمله بعض قادة الأجهزة مسؤولية توتير الوضع الأمني. (من مقابلات أجراها الباحث مع أحد هذه القيادات). وقد كشف رجاء الناصر عضو المكتب السياسي لحزب الاتحاد الاشتراكي العربي الديمقراطي المعارض عن جانب من هذه الاتصالات التي أucht بوجود جناحين في القيادة السورية، الأول متشدّد أمني يتمثل في الأجهزة الأمنية والحزبية والثاني سياسي عقلاي يتمثل في الرئاسة والقيادة العسكرية. رجاء الناصر، "دلالات يوم الغضب وطريق الخلاص"، المنبر الديمقراطي الوطني، دون رقم أو سلسلة، ١ أيار/مايو ٢٠١١.

<sup>٦</sup> هذا ما يمكن استنتاجه من إعلان وزير الإعلام ثم المستشار الرئاسية وقيادة الجيش نهاية العمليات في درعا والانتقال إلى الحوار السياسي - الجزيرة نت: "نشر دبابات ومدركات حول دمشق وقرب حمص"، ٤-٥-٢٠١١،

<http://www.aljazeera.net/NR/EXERES/40770A91-4105-4B4B-B2CA-149352372E5B.htm>

<sup>٨</sup> انتشرت قوات سورية مؤلفة من عشرات الدبابات والمدركات بالقرب من مدينة بانياس عند قرية سهم البحر التي تبعد عشرة كيلومترات عن بانياس. بي بي سي: "تعزيرات قرب بانياس"، ٥-٥-٢٠١١،

[http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/05/110504\\_syria\\_homs.shtml](http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/05/110504_syria_homs.shtml)

في صباح ٧-٥-٢٠١١ دخل الجيش بانياس، ووقعت مجزرة النسوة الأربع في قرية المرقب، حيث سقطن قتيلات في تظاهرة نسائية للمطالبة بإطلاق سراح معتقلين في قرية المرقب القريبة من بانياس. الجزيرة نت: "مقتل ٦ متظاهرين والجيش يدخل بانياس"، ٧-٥-٢٠١١،

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/80B80C54-E14F-4CB3-BCC2-4D7659B650C2.htm>

وفي ١١-٥-٢٠١١ أطلقت السلطات السورية سراح ثلاثمئة شخص كانت قد ألفت القبض عليهم في بانياس منذ أن اقتحمت الدبابات المناطق السكنية في المدينة (الجزيرة نت: "قتلى واعتقالات قبل جمعة الحرائر"، ١٢-٥-٢٠١١،

<http://www.aljazeera.net/NR/EXERES/1BOC6F91-D141-4AA5-9889-0361385710B8.htm>

المفلسة بتأثير منافسة الموبيليا التركية لمنتجاتها<sup>(١٠)</sup> ثم أطراف حمص (٦ أيار/مايو) وطريق حمص- الرستن الذي تتألف البلديات والأحياء الواقعة على طرفيه من متحزري البدو الذين دخلوا في عملية التمدين<sup>(١١)</sup> وصدّ من تمّ وصفهم بـ "قلول المجموعات الإرهابية المسلّحة" في حيّ بابا عمرو في حمص (في ١٠-١١ أيار/مايو)<sup>(١٢)</sup>، وضاحية المعصميّة (٩ أيار/مايو)<sup>(١٣)</sup>، وقطنا (١٠ أيار/مايو)<sup>(١٤)</sup>. ثم عملية تل كلخ (١٤-١٧ أيار/مايو)، ثم تلبيسة المجاورة للرستن بهدف "اعتقال مشبوهين سلفيين" من أتباع بعض الدعاة السلفيين المتشدّدين حسب الرواية الرسمية (٣٠ أيار/مايو)<sup>(١٥)</sup>. ثم جسر الشغور وجبل الزاوية (ابتداءً من ١٢ حزيران/يونيو)، والبوكمال (١٥ - ٢٣ تموز/يوليو)، وحمص مجدداً (٢٠ تموز) وجبل الزاوية. وتتشرك هذه المدن كلها في كونها مدناً أو أحياء صغيرة أو بلداتٍ على مستوى الحجم السكاني، ومتراصة عائلياً واجتماعياً على مستوى التكوين العنصري المحلي، وبالهامشية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، حيث لكل منها قصته الدرامية مع التهميش، أو الإفلاس، أو الفقر، أو الاستملاك "الجائر"، والسأم من الإذلال التسلطي، والخضوع لسلطاتٍ محليةٍ اعتبارية.

لقد شهدت هذه العمليات ثلاث موجات نزوحٍ من درعا ومنطقة جسر الشغور وجبل الزاوية ونث كلخ. كان أشدها موجة نزوح أهالي جسر الشغور وجبل الزاوية. وهي برمتها مناطق حدودية إلى كل من الرمثا الأردنية، ووادي خالد اللبناني، وتركيا. كما شهدت أنباء عن مقابر جماعية في درعا (اتهمت فيها القوى المعارضة السلطة)<sup>(١٦)</sup> وجسر الشغور (اتهمت فيها السلطة المسلّحين)، وانفجار الاحتقان الطائفي في مدينة حمص. وتبلور دور بعض اللاعبيين الجدد مثل اللاعب العشائري وغيره. وبرز تحوّل كبير في أشكال الاحتجاج وهو العصيان المدني الشامل، ثم الإضرابات في حماة، وظاهرة الإضراب في إدلب. وكانت دوماً أول من بدأ هذا الشكل في بداية الأحداث، وهو شكل مدني متطور في سيرورة الأحداث الاحتجاجية. ثم برز شكل التحرك السياسي للخروج من الأزمة البنيوية الشاملة والمركبة التي دخل فيها المجتمع السوري،

<sup>٩</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٥/٦.

<sup>١٠</sup> الوطن (السورية) ٢٠١١/٥/٦.

<sup>١١</sup> انتشرت عشرات الدبابات في الأحياء التي تقع على أطراف مدينة حمص، مثل بابا عمرو (غرب) ودير بعلبة (شمال شرق)، والسنتين في حي عشيرة (شرق)، (الجزيرة نت): "٣٠ قتيلاً في جمعة التحدي في سوريا"، ٥-٦-٢٠١١،

<sup>١٢</sup> http://www.aljazeera.net/NR/exeres/902F690A-9291-4592-BFE2-67C08D48AC75.htm. قارن مع الوطن (السورية)،

٢٠١١/٥/٦.

<sup>١٣</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٥/١٢.

<sup>١٤</sup> بي بي سي: "سوريا الجيش يدخل ضاحية المعصميّة"، ٩-٥-٢٠١١،

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/05/110509\_syria\_muadhmia.shtml

<sup>١٥</sup> الجزيرة نت: "قتلى واعتقالات قبل جمعة الحرائر"، ١٢-٥-٢٠١١، http://www.aljazeera.net/NR/EXERES/1B0C6F91-

D141-4AA5-9889-0361385710B8.htm

<sup>١٦</sup> الجزيرة نت: "قتلى في اقتحام الجيش للرستن وتلبيسة"، ٣٠-٥-٢٠١١، http://www.aljazeera.net/NR/EXERES/02D147BE-

01F7-4FA2-88EF-D8D29C00767B.htm. قارن مع الوطن (السورية)، ٢٠١١/٥/٣١، ووصفت (الوطن) السلفيين بـ "مجموعات المسلّحين

المنتمين لتيارات دينية متشددة ومن أتباع مشايخ يقيمون خارج سورية، وتحديدًا من أتباع الشيخ عرعور، وأدى ذلك إلى إغلاق الطريق العام الدولي

بين مدينتي حمص وحماة"، (الوطن) (السورية)، ٢٠١١/٥/٣١

<sup>١٧</sup> بتاريخ ١٥-٥-٢٠١١ تم الإبلاغ عن خمس جثث في منطقة البحار بدرعا البلد. واتهمت بعض منظمات حقوق الإنسان السلطة بارتكاب الجريمة،

بينما نسب إلى المحامي العام أنه بُلغ بالواقعة وأن لجنة شكلت للتحقيق في ملابس الحادث وأسبابه، وقد سلّمت الجثث إلى أهالي المتوفين حيث تم

دفنها. (الوطن) (السورية)، ١٨/٥/٢٠١١.

وظهور بوادر تحرك الفئات الوسطى الحديثة. وسنحاول هنا عبر مقارنة وصفية- تحليلية التوقف عند المقاطع الأساسية التمثيلية في تاريخها المباشر، متوخيّن فهم ما يقبع خلفها من عوامل، وما تميّزت به من ديناميات.

### عملية درعا (٢٥ نيسان/أبريل-١٥ أيار/مايو): موجة النزوح الأولى المبكرة:

في ٢٥ نيسان/أبريل ٢٠١١ بدأت عملية درعا بتطويق مدينتها، وقطع المياه والكهرباء والاتصالات عنها. وكانت أول عملية عسكرية كبيرة تتم بعد عملية "جبله" التي حدثت قبل يوم واحد فقط منها. وبين دخول الجيش إلى درعا والسبت ٣٠ نيسان/أبريل كانت شوارع المدينتين المليونيتين دمشق وحلب خاليتين تقريباً من المازّة، وسط هلع من المجهول، وانتشار هستيريا التّمون، والتضخم السعري للمواد الغذائية، وارتفاع حمّى تبديل الليرة السورية بالدولار، ممّا جعل سعر صرف الدولار يرتفع في شبكات السوق السوداء من ٤٩ ليرة سورية إلى نحو ٥٤ ليرة سورية<sup>(١٧)</sup>، بينما ثار عددٌ من المدن الصغيرة والمتناهية في الصغر يوم الجمعة ٢٩ نيسان/أبريل الذي أطلق عليه ناشطو صفحة الثورة السورية على الفيسبوك اسم "جمعة الغضب"، بعد صلاة الجمعة تضامناً مع درعا، وكان أشدها من ناحية التوتّر مع الأجهزة الأمنية ووقوع الضحايا في درعا وحمص.

مثلّ اعتقال حسن عبد العظيم، الأمين العام لحزب الاتحاد الاشتراكي العربي الديمقراطي الناطق باسم التجمع الوطني الديمقراطي المعارض، في ٣٠ نيسان/أبريل ٢٠١١، مع بعض قادة التجمع؛ قطعاً مع سياسة الاتصال الجانبية التي قام بها موفدون من الرئيس معهم<sup>(١٨)</sup>. وعكس ذلك انزلاق السلطة الفعلية إلى أيدي الأمنيين والعسكريين. وفي هذا السياق، استنفر تطويق مدينة درعا ديناميات "الفرجة" التضامنية الحورانية، وتصدّى الشبان، الذين شكّلوا تنظيمًا عسكرياً بسيطاً، لطلّاع القوّات بإطلاق النار عليها<sup>(١٩)</sup>، وفق حقّ "دفع الصائل" الدفاعي. ومع عملية الاقتحام فرّ بعض الجنود، واحتّموا في بيوت الأهالي، (وكانت هذه هي أولى محاولات الفرار الفردية من الخدمة التي ستتطوّر بشكل محدودٍ لاحقاً تحت اسم "لواء الضباط الأحرار")، فتعقّد الوضع نسبياً، بينما تحدثت الرواية الرسمية عن "اختطاف جنديين"، وانتشرت الشائعات المتضاربة كالنار في الهشيم عن انشقاق الجيش<sup>(٢٠)</sup>. وتحذّى المحتجون قرار وزارة الداخلية في

<sup>١٧</sup> ملاحظات الباحث الميدانية المباشرة للوضع في مدينتي حلب ودمشق.

<sup>١٨</sup> مقابلة شخصية أجراها الباحث في نيسان/أبريل ٢٠١١ مع رجاء الناصر. قارن مع الناصر، دلالات يوم الغضب وطريق الخلاص.

<sup>١٩</sup> المسالمة، الوطن (السورية) ٢٠١١/٥/٣. "هناك مقاومة مسلحة ظهرت في درعا بداية بأسلحة عتيقة من التي توجد في الأسواق المحلية (السوداء) بدأت بعد عمليات القتل وانتشرت مع سيطرة الأهالي على المدينة سلمياً مع انسحاب قوات الأمن.. وقطعاً مع حصار المدينة حدثت الفرزة الحورانية من المناطق المجاورة وتم التصدي لبعض نقاط التفتيش - الحواجز - رداً على إطلاق النار هذا ما حدث تماماً في درعا.. ليس أقل ولا أكثر". من جواب رجاء الناصر عن أسئلة وجهها الباحث له.

<sup>٢٠</sup> تناقلت الإشاعات حدوث انشقاق عسكري كبير في صفوف الوحدات الداخلة إلى درعا. واضطر اللواء محمد الرفاعي إلى تكذيب ذلك رسمياً، والقول بأنه ترك قيادة الفرقة بسبب نهاية خدمته القانونية. للاطلاع على بيان اللواء الرفاعي قارن مع الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=YZPLUyWKLGE> أو الثورة (السورية)، ٢٠١١/٤/٣٠

يوم الخميس ٥ أيار/مايو الذي اتخذ استباقاً لما يمكن أن يندلع من أحداثٍ في اليوم التالي الجمعة الذي أطلق عليه اسم "جمعة التحدي"، ونصّ القرار على منع "القيام بأيّ مسيراتٍ أو تظاهراتٍ أو اعتصاماتٍ تحت أيّ عنوانٍ كان إلّا بعد أخذ موافقةٍ رسميةٍ على التظاهر"<sup>(٢١)</sup>. لكن حركات الاحتجاج تحدّت ذلك، وكسرت القرار من خلال القيام بسلسلة تظاهراتٍ تضامناً مع درعا، وقمعتها السلطات الأمنية بشدةٍ.

استهدفت الحملة القبض على كل من "تورط" في "حملٍ للسلاح، أو إخلالٍ بالأمن، أو الإدلاء ببياناتٍ كاذبةٍ"<sup>(٢٢)</sup> للفضائيات تحت اسم "شاهد عيان"، والعفو عنهم في حال سلّموا أنفسهم في غضون ١٥ يوماً تبدأ اعتباراً من الأول من أيار/مايو وتنتهي في منتصفه<sup>(٢٣)</sup>. وهو الأمر الذي يبدو أنه قد حدّد موعداً لنهاية العملية العسكرية في درعا. وكانت هذه القائمة الأمنية تضم عدّة ألوفٍ من الشباب<sup>(٢٤)</sup>. ولهذا كانت مراكز الاعتقال المؤقتة والدائمة في حدود ١١ أيار/مايو ٢٠١١ لاتزال تعجّ بالشباب<sup>(٢٥)</sup>. وكتعبيرٍ عن نهاية المرحلة الأمنيّة وبدء المرحلة السياسيّة، أعلنت السلطات من خلال المستشارية الرئاسيّة بثينة شعبان عن إصدار الرئيس الأسد أوامرٍ رئاسية حاسمة بعدم إطلاق النار على المتظاهرين، وكل من يخالف ذلك يتحمّل كامل المسؤولية<sup>(٢٦)</sup>. كما أعلن وزير الإعلام عن حوارٍ وطني<sup>(٢٧)</sup>. وأكّد أنّ وحدات الجيش بدأت في الخروج التدريجي من بانياس ودرعا وريفها من أجل العودة إلى معسكراتها الأساسيّة<sup>(٢٨)</sup>. وشكّلت القيادة السورية لجنّتين لم يعلن عنهما، هما "لجنة الحوار الوطني" و"لجنة إدارة الأزمات"<sup>(٢٩)</sup>. وأبدى الرئيس انتقاداً

<sup>٢١</sup> - صحيفة الثورة السورية: "وزارة الداخلية أهابت المواطنين بالامتناع عن القيام بالتظاهر"، ٦-٥-٢٠١١،

[http://thawra.alwehda.gov.sy/\\_archive.asp?FileName=18071290320110506024037](http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=18071290320110506024037)

<sup>٢٢</sup> - صحيفة الثورة (السورية)، "الداخلية تهيب بالمواطنين ممن غرر بهم بتسليم أنفسهم وأسلحتهم"، ٢-٥-٢٠١١،

[http://thawra.alwehda.gov.sy/\\_archive.asp?FileName=18021850820110502021557](http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=18021850820110502021557)

<sup>٢٣</sup> - المصدر نفسه، [http://thawra.alwehda.gov.sy/\\_archive.asp?FileName=18021850820110502021557](http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=18021850820110502021557)

تمّ مدّدت المهلة أسبوعاً إضافياً إلى ٢٢ أيار/مايو (الوطن (السورية)، ١٦/٥/٢٠١١)

<sup>٢٤</sup> يعود هذا التقدير لنا في ضوء أن وزارة الداخلية حددت عدد من قام بتسليم نفسه من هؤلاء الشباب بـ ٦١٣١ مطلوباً أمنياً بأحداث درعا حتى

منتصف أيار/مايو ٢٠١١، إضافة إلى من تم اعتقالهم ممن لم يسلموا أنفسهم (الوطن (السورية)، ١١-٥-٢٠١١)

- صحيفة الثورة السورية: "الداخلية تهيب بالمواطنين ممن غرر بهم بتسليم أنفسهم وأسلحتهم"، ٢-٥-٢٠١١،

[http://thawra.alwehda.gov.sy/\\_archive.asp?FileName=18021850820110502021557](http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=18021850820110502021557)

<sup>٢٥</sup> هيثم مناع، "وبدأ الأسبوع الثالث لحصار درعا"، موقع الدكتور هيثم مناع على الرابط:

<http://www.haythammanna.net/articles%20arabic/daraa.htm>

<sup>٢٦</sup> - الجزيرة نت: "جمعة حرائر والأسد يمنع إطلاق النار"، ١٢-٥-٢٠١١، [http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8197F24F-2030-](http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8197F24F-2030-4A68-B360-5D2A5EAE8DBD.htm?GoogleStatID=9)

[4A68-B360-5D2A5EAE8DBD.htm?GoogleStatID=9](http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8197F24F-2030-4A68-B360-5D2A5EAE8DBD.htm?GoogleStatID=9)

<sup>٢٧</sup> - الجزيرة نت: "سوريا تعلن عن حوارٍ وطني"، ١٣-٥-٢٠١١، [http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BA9D73A2-5F82-444C-9566-](http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BA9D73A2-5F82-444C-9566-737A5BC3D9D9.htm)

[737A5BC3D9D9.htm](http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BA9D73A2-5F82-444C-9566-737A5BC3D9D9.htm)

<sup>٢٨</sup> - صحيفة الثورة السورية: "وزير الإعلام وحدات من الجيش تبدأ خروجها من بانياس ودرعا"، ١٤-٥-٢٠١١،

[http://thawra.alwehda.gov.sy/\\_archive.asp?FileName=18178212220110514015714](http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=18178212220110514015714)

<sup>٢٩</sup> تألّفت اللجنة السياسيّة من نائب الرئيس فاروق الشرع ونجاح العطار والمستشارة الإعلامية في القصر الجمهوري بثينة شعبان، بينما ترأس اللواء هشام اختيار لجنة إدارة الأزمات التي ضمت رؤساء أجهزة الأمن ورئيس الأركان، وغيرهم (مقابلة شخصية وجاهية أجراها الباحث في ١٩ أيار/مايو ٢٠١١ مع مصدر لم يرغب في ذكر اسمه).



"ليّناً" لممارسات الأجهزة الأمنية تحت اسم "بعض الممارسات الأمنية الخاطئة" بسبب ضعف خبرتها في التعامل مع قضايا هي من صلب عمل الشرطة وليس أجهزة الأمن<sup>(٣٠)</sup>.

وكان ذلك يعبر من الناحية الوظيفية عن محاولة لامتصاص مشروع العقوبات الأميركي في ذلك الوقت، لكن تمّ الشروع فعلياً في دراسة الأسماء المقترحة لتشكيل قيادة لجنة الحوار الوطني. وكان ذلك في منتصف أيار/مايو وفق الآليات التسلطية التقليدية السابقة، وهي ترشيح كلّ قيادة فرع حزب لثلاثة مستقلين كي تنتقي منهم القيادة من تراه مناسباً لعضوية لجنة الحوار<sup>(٣١)</sup>؛ فساد التشاؤم بشأن الحوار حتى قبل أن يبدأ.

### عملية تل كلخ : موجة النزوح الثانية

في ١٤ أيار/مايو ٢٠١١، انتشر الجيش في بلدة تل كلخ على الحدود السورية-اللبنانية<sup>(٣٢)</sup>، على خلفية توتر أحداث الجمعة ١٣ أيار/مايو التي شهدت عصياناً عاماً، وأعلن فيه عدة أعضاء عاملين في حزب البعث الحاكم عن انسحابهم منه. وبدأت عملية نقل بعض العائلات (من أطفال ونساء) إلى الجزء اللبناني من وادي خالد المتاخم للحدود، بما عزز الشبهات الأمنية الراجحة وفقاً لـ"النظرية الأمنية" عن استخدام تل كلخ كمعبرٍ للمسلّحين الأصوليين من طرابلس إلى سورية. ومع دخول الجيش في ١٤ أيار/مايو بعد اشتباكاتٍ مسلحة، ارتفعت وتيرة النزوح لتغدو بالمئات لتجنّيب النساء والأطفال تبعات المواجهة مع الجيش<sup>(٣٣)</sup>.

كانت تل كلخ قد دخلت في حزام الحركات الاحتجاجية منذ أواخر آذار/مارس، ولا سيّما في منتصف نيسان/أبريل ٢٠١١<sup>(٣٤)</sup>، لأسبابٍ جوهريةٍ تتعلّق بتهميشها على غرار وضع المدن المتوسطة والصغيرة والمتناهية في الصغر المهمّشة الأخرى، وقد مسّت هذه الهامشية مهربيها ومزارعيها في وقتٍ واحدٍ. وتمكنت

<sup>٣٠</sup> ذكر الرئيس في هذا المجال "أنه أعطى توجيهاته بأن دور الأمن هو جمع المعلومات وتحليلها وتقديمها للجهات الرقابية المسؤولة". من مقابلة الرئيس الأسد مع وجهاء حي الميدان، الوطن (السورية)، ٢٠١١/٥/١٨. كان هذا التوجيه غير واقعي في تلك الظروف، لأن الأمن كان منغمساً في العمليات وليس في عملية إعادة هيكلة مهامه على أساس جمع المعلومات.

<sup>٣١</sup> معلومات ميدانية مباشرة للباحث.

<sup>٣٢</sup> الجزيرة نت: "الجيش السوري ينتشر بتل كلخ"، ١٤ - ٥ - ٢٠١١، <http://aljazeera.net/NR/exeres/B2C2F9AD-AD9A-4D81-A992-35354B973824.htm>

<sup>٣٣</sup> قتل ثلاثة أشخاص من أهالي تل كلخ. بي بي سي: "سوريا سماع أصوات انفجارات وتواصل نزوح أهالي تل كلخ"، ١٥-٥-٢٠١١، [http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/05/110515\\_syria\\_wrap\\_1.shtml](http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/05/110515_syria_wrap_1.shtml)، بينما روت الحكومة أن المسلحين قد حرقوا مقرات حرس الحدود وبعض الممتلكات العامة وتم إقامة الحواجز في منطقة العريضة بتل كلخ. وسقط شهيدان وأحد عشر جريحاً من وحدات الجيش والقوى الأمنية. وتم الاستيلاء على كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر والقناصات. (صحيفة الثورة السورية: شهيدان و١١ جريحاً للجيش والقوى الأمنية في تل كلخ، ١٦-٥-٢٠١١،

([http://thawra.alwehda.gov.sy/\\_archive.asp?FileName=18211778120110516023638](http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=18211778120110516023638))

<sup>٣٤</sup> قارن مع تظاهرة تل كلخ يوم "جمعة الصمود" في ١٥ نيسان/أبريل ٢٠١١، على الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=L1agl48Jpgk&feature=related>

السلطة من احتواء نقمة المزارعين (الذرة الصفراء، الحمضيات، الزيتون، التفاح، البندورة) بتوزيع مبالغ الدعم لهم، التي استفادت منها نحو ٩٧٤ أسرة<sup>(٣٥)</sup>، لكن المشكلة ظلّت مستمرة مع من يعتمد دخلهم على التهريب.

وقد لعب في هذا السياق عاملاً محدّداً دوراً خاصاً في تفعيل احتجاجها، وهو القبض على عددٍ كبيرٍ من رجالها الذين يعملون في التهريب لمواجهة بسبب ضعف مصادر الدخل الأخرى، وإهمال الحكومة لتنمية المنطقة. وقد تأثرت تل كلخ -التي يعتمد ناتجها المحليّ أو دخل معظم أسرها على عملية التهريب، وتشكّل وديان التهريب فيها منطقةً عصيّة على الأمن من دون اشتباكاتٍ مسلّحةٍ حقيقيةٍ<sup>(٣٦)</sup>- بشكلٍ كبيرٍ بحملة اعتقال المطلوبين في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٠<sup>(٣٧)</sup>، والتي استهدفت اعتقال أكثر من ٦٤ ألف مطلوب القبض عليهم بموجب مذكرات وأحكام قضائيةٍ لتهمة جنائيةٍ وجنحيةٍ<sup>(٣٨)</sup>. وقد تمّ اعتقال عددٍ إضافي من رجال تل كلخ بحيث وصل العدد إلى نحو ١٨٠ رجلاً متّهمين بالتهريب. وكان هذا هو السبب الذي دفع الناس في تل كلخ في البداية للخروج إلى الشوارع في أواخر آذار/مارس، ثم المطالبة بسقوط النظام بعد ١٩ نيسان/أبريل، أي بعد ثلاثة أسابيع تقريباً من أول تظاهرة خرجت هناك<sup>(٣٩)</sup>. ثم التصدي للجيش عسكرياً<sup>(٤٠)</sup>.

على هذه الخلفية، استؤنفت العملية العسكرية في بلدة تل كلخ في ١٧ أيار/مايو ٢٠١١<sup>(٤١)</sup>. واعتقل الجيش عدداً كبيراً من الرجال شبيهاً وشباناً، وأحكم سيطرته تماماً على أحياء تل كلخ وشوارعها، بعدما سحق مقاومة العناصر المسلّحة في البلدة<sup>(٤٢)</sup>. ووفق الرواية الرسمية اعتقل الجيش في هذه العملية عدداً من "المطلوبين الفارين من العدالة" و"ضبط كمياتٍ كبيرةٍ من الأسلحة والذخائر"<sup>(٤٣)</sup>. وأدّت العملية إلى مزيدٍ

<sup>٣٥</sup> من حديث مدير الدعم الزراعي، الوطن (السورية)، ١ أيار/مايو ٢٠١١

<sup>٣٦</sup> محادثات متعددة تمت في أوقاتٍ مختلفة بين الباحث وبين عددٍ من سائقي سيارات الأجرة على خط حلب-بيروت.

<sup>٣٧</sup> تعميم "سري للغاية" رقم (١٩٣١) في تاريخ (٢٠١٠/١٠/١٤)، صادر عن وزارة الداخلية: قوى الأمن الداخلي، إدارة التنظيم والإدارة. ويقضي بتشكيل لجنة فرعية في كل محافظة مؤلفة من قائد الشرطة ورئيس فرع الأمن السياسي ورئيس فرع الأمن الجنائي للقبض على "المطلوبين والفارين من العدالة خلال عشرة أيام".

<sup>٣٨</sup> للاطلاع على خطاب الرئيس بشار الأسد في ٢٠-٦-٢٠١١، اتبع الرابط التالي وملحقات اليوتيوب المرتبطة به:

<http://www.youtube.com/watch?v=YhVyUPkIFew>

<sup>٣٩</sup> سيلينا ناصر، "السوريون الفارون من بلدة تل كلخ يحكون عن هجمات"، تقرير لصالح منظمة العفو الدولية، موقع مركز دمشق لدراسات حقوق الإنسان، الرابط:

<http://www.dchrs.org/news.php?id=311&idC=2>

<sup>٤٠</sup> المصدر نفسه. وتشير كاتبة التقرير إلى: "وحكى لي شهود عيان أن الجنود سيطروا تماماً على أحياء تل كلخ وشوارعها يوم الثلاثاء ١٧ أيار/مايو، بعدما سحقوا ما يبدو أنها مقاومة لعناصر مسلحة في البلدة. وقد اعتقلوا عدداً كبيراً من الرجال شبيهاً وشباناً". انظر النص الكامل للتقرير على موقع مركز دمشق لدراسات حقوق الإنسان، الرابط:

<http://www.dchrs.org/news.php?id=311&idC=2>

<sup>٤١</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٥/١٨. برزت السلطة استئناف العملية بكمين استهدف رئيس فرع الأمن السياسي بحمص ومرافقيه. وقد نشرت الوطن رواية شبه رسمية عن ذلك تتلخص في أن "مجموعة من المسلحين نصبت كميناً لرئيس فرع الأمن السياسي في حمص العقيد محمد إبراهيم العبد الله (من مواليد عام ١٩٦٤ من صافيتا متزوج ولديه ٣ أطفال)، وذلك خلال وجوده في تل كلخ، حيث طلب من مجموعة من الشبان تسليم أنفسهم للعقيد شخصياً، وعند خروجه ليلتقي الشبان انبطحوا أرضاً وخرج من خلفهم وسط الأشجار ستة مسلحين، فتحوا النار على العقيد ومجموعة العناصر الأمنية وعددهم أربعة".

<sup>٤٢</sup> ناصر، "السوريون الفارون من بلدة تل كلخ يحكون عن هجمات"، مصدر سبق ذكره.

<sup>٤٣</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٥/١٨

من نزوح أهالي نل كلخ، وكانت هذه هي موجة النزوح أو الاقتلاع الثانية خلال العمليات العسكرية بعد موجة نزوح بعض أهالي درعا إلى الرمثا داخل الأراضي الأردنية.

## جسر الشغور وجبل الزاوية: موجة النزوح الثالثة الكبرى وجوكر أردوغان

### الخلفية الخاصة: انتفاضة الفلاحين المدمرين والعمال الزراعيين اليائسين..

تتمثل جذور الحركات الاحتجاجية العنيفة التي شهدتها محافظة إدلب وتحديداً مناطق جسر الشغور وجبل الزاوية في أن تدني مؤشرات التنمية قد خلق فيها بيئة قابلة للاحتجاج العنيف، إذ تشكل المحافظة جزءاً من خارطة المناطق الأكثر فقراً في سورية، وتلتقي في ذلك مع محافظات المنطقة الشرقية. وهو ما يفسر ارتفاع وتيرة الهجرة منها، بنوعها الداخلية والهجرة الخارجية<sup>(٤٤)</sup>. وتتركز توجهات الهجرة الداخلية نحو كل من حلب ودمشق واللاذقية.

وقد كان أثر السياسات الزراعية ذات التوجّه الليبرالي الجديد، ولا سيّما في مجال رفع الدعم عن مادة المازوت، أثراً كارثياً على المنطقة التي تقوم زراعتها على الريّ، إذ ألحق هذا القرار دماراً حقيقياً بالمصدر الأساسي للنتاج المحليّ الإجماليّ في المنطقة، وهو الزراعة التي تعاني فيها حيازة الأرض من تفتت إلى حيازاتٍ متناهية في الصغر بسبب كثرة الورثة. إن تفتت الحيازة الصغيرة ظاهرة بارزة في النظم الزراعية السورية كافة، لكنّ تفتتها في محافظة إدلب يعتبر من أشدها، حيث تشكل أسر أشباه الفلاحين في محافظة إدلب التي تقلّ حيازتها عن هكتارٍ واحد أكثر من ٨٠% من الإجماليّ بينما تتراوح حيازة ١٥% من بقية الأسر بين ٣ و١ هكتار، وهو ما جعل محافظة إدلب منذ عقدٍ واحدٍ على الأقلّ واحدةً من أكبر مصدري العمالة الزراعية الموسمية إلى خارجها<sup>(٤٥)</sup>. ويعني ذلك تحوّل الفلاحين الصغار المستقلين إلى مهن هامشية أخرى، أو إلى عمالٍ موسميّين بدرجةٍ أولى، وهي فئة لا تتمتع بأية حماية في سورية، وتعيش دوماً في بيئة

<sup>٤٤</sup> يبلغ عدد السكان في محافظة إدلب حسب سجلات الأحوال المدنية ٢٠٧١ مليون نسمة في إحصاء عند تاريخ ٣١/١٢/٢٠١٠. ويأتي ترتيبها الرابعة بين محافظات القطر، ويقدر عدد السكان المقيمين بنحو ١.٥٣٥ مليون نسمة ويأتي ترتيبها السابعة بين محافظات القطر. ويقدر وسطي معدل النمو السنوي للسكان في المحافظة بـ ٣.١%. ورقة خلفية للدكتور أكرم القش مستشار التقرير الوطني الثاني لحالة سكان سورية الذي يتّراس الباحث فريقه.

<sup>٤٥</sup> ناديا فورني، "نظم استخدام الأراضي، الصفات البنوية والسياسات، مشروع المساعدة في التعزيز المؤسسي والسياسات الزراعية"، (دمشق: برنامج التعاون بين الفاو والحكومة الإيطالية، وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي ومنظمة الزراعة والأغذية للأمم المتحدة، آذار ٢٠٠١)، ص ٤٠، ٤٧.

محفوظة بالمخاطر. ويشبه ذلك في محافظة حمص تحوّل مربي القطعان إلى "رعيان"، أو إلى مقذوفين في نشاطات القطاع غير المنظم، ولا سيّما قطاعه الأسود المتمثّل في التهريب. كما يشبهه في أطراف دمشق الكبرى التي تتركز فيها نسبة كبيرة من منشآت القطاع غير المنظم الصناعية الصغيرة والمتناهية في الصغر، فتحوّل "المعلمين" أصحاب الورشات إلى مفلسين، و"الصنيعة" إلى عاطلين عن العمل.

وكي نضع هذا التطور في إطار الصورة الكلية للاتجاهات البنوية التاريخية في التاريخ السوري الحديث، بما يساعد على الفهم الملموس لكُنه التحولات الاجتماعية في محافظة إدلب، فإنّ المجتمع الزراعي السوري مرّ منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى الآن بثلاث مراحل كبرى في تاريخه، هي مرحلة الملكية الكبيرة للأرض (الفترة العثمانية التنظيماتية وفترة الانتداب الفرنسي إلى ما بعد الاستقلال)، ومرحلة ضرب الملكية الكبيرة للأرض لصالح الفلاحين الصغار والمتوسطين (مرحلة الإصلاح الزراعي ١٩٥٨-١٩٧٣)، ثم مرحلة تفتت الملكية الصغيرة والمتوسطة للأرض إلى مساحاتٍ متناهية في الصغر. وتعتبر محافظة إدلب من المحافظات التي مرّت بهذه المراحل، وتميّزت بشكلٍ خاصّ بخصائص المرحلة الثالثة التي نسفت في ظلّ السياسات الليبرالية الجديدة ولاءها للحزب والسلطة، وخرجت من كونها قاعدةً تاريخيةً لهما إلى غاضبةٍ عليهما.

وتعاني الزراعة فوق ذلك من ضعف الإنتاجية، وارتفاع كلفة الإنتاج بسبب تراجع دعم الدولة في إطار سياساتها الليبرالية الجديدة عن دعم مدخلات الإنتاج، بينما تكثر فيها شرقاً وغرباً المناطق الجبلية القابلة للتطوير السياحي لكن غير المستثمرة إلا بشكلٍ محدودٍ في جبل الأربعين -أحد أمكنة اصطيف عائلات حلب- والمناطق شبه الصحراوية في جنوبها. ويقابل ذلك ارتفاع كبير في معدل النمو السكاني يصل إلى ٣.١% سنوياً نتيجة ارتفاع معدل الخصوبة الزوجية والكليّة للمرأة فيها. مما يرفع من أعباء الإعالة العائلية والاقتصادية معاً بالنسبة إلى معدّلاتها في المحافظات الأخرى<sup>(٤٦)</sup>.

ويسبب ضعف فرص العمل فإن الدولة هي أكبر مشغّل لقوة العمل فيها، ولا سيما في مجال الشرطة وقوى الأمن الداخلي، الذي يعوّض عناصره عن الضعف الشديد لمرتباتهم المحدودة والمتدنّية بالدخول غير "المرئية" و"غير المشروعة". فقد أدّت محدودية الدخل وانتشار الفقر المدقع؛ ومحدودية عائد الأرض، وتوقف الدولة عن التوسّع في التوظيف في المشاريع العامة؛ إلى ارتطام الشباب بجدارٍ مسدودٍ، ممّا حوّل

<sup>٤٦</sup> معدل الإعالة العمرية في إدلب ٨٤.٢ مقابل ٧٠ في القطر -حسب تقديرات عام ٢٠١٠-، معدل الإعالة الاقتصادية في إدلب ٤.٦ مقابل ٣.٦ في القطر -حسب تقديرات عام ٢٠٠٩-.

المنطقة وشبابها خصوصاً من بيئةٍ تقليديةٍ لنفوذ البعث إلى بيئةٍ مضادةٍ له، بل ومنفضةٍ عليه. وملاً للتدين السلفي -بما في ذلك بعض اتجاهاته المتشددة- الفراغ الناتج من تآكل الأفكار الحديثة وتهلها في الوعي الاجتماعي العام.

### "المعاد" الفاجع: مؤثرات الثمانينيات: نموذجاً كفر نبل وجسر الشغور

لم يكن التقليد الراديكالي للمحافظة غريباً عن تاريخها، فلقد أفرزت في مرحلة الصراع بين جماعة الإخوان المسلمين والسلطة (١٩٧٦-١٩٨٣) كتلةً راديكاليةً قويةً وكبيرةً انخرطت في العمليات، وتعرضت إما للتصفية أو الاعتقال أو أرغمت على الفرار إلى خارج سورية. وشكّل الانتقام لهؤلاء أحد مثيرات الاحتجاج الذي يميّز بطبيعته المعقّدة، واشتغال عدة عوامل فيه. ويتمدج ذلك في حركات كل من كفر نبل وجسر الشغور، إذ كانت كفر نبل -التي انخرطت بشكلٍ مبكّرٍ في حركة الاحتجاجات- تردّ بشكل لا شعوري، ولكن في سياقٍ جديدٍ، على ما حدث لها في الثمانينيات. وقد قدّر مصاب البلدة بين ضحايا ومفقودين ومعتقلين في حدود وسطية تناهز ٦٠٠ ضحية خلال مواجهات الثمانينيات من القرن الماضي. وكان خمسم تقريباً ممن قضى في الأحداث، وبشكلٍ يمكن القول معه، في إطار العلاقات الاجتماعية والقريبة المحلية الوشيحة أن ما لا يقل عن ٧٠% من أهالي كفر نبل كانوا مصابين تقريباً. وكانت القصص المحليّة مؤلمةً، فحتى من سلّم نفسه بعد ما وعدت به السلطات من العفو عنه، غداً مفقوداً. ونتيجة هذا العدد الكبير من الضحايا الذي دفعته البلدة، فإن شؤون حياتها المدنية اليومية من إرثٍ وملكيةٍ وزواجٍ وطلاقٍ قد تعرضت كلها إلى الحرج الشديد، والتعقيد البيروقراطي السياسي في صورةٍ مكثّفةٍ لما عانته مدينة حماة. واعتبرت البلدة طيلة السنوات الماضية كبلدةٍ "معادية"، يجري التضييق الأمني والحزبي الشديد عليها من ناحية توظيف أي من أبنائها في جهاز الخدمة العامة. وفي العام ٢٠١١، حين اندلعت الحركة الاحتجاجية في كفر نبل، كانت البلدة المهمّشة البالغ عدد سكانها ١٧٩٨٠ نسمة، بينما بلغ عدد سكان قراها الخمس والعشرين ٧٨٤٧٧، نسمةً جاهزةً للاحتجاج<sup>(٤٧)</sup>.

<sup>٤٧</sup> مصادرة هاتفية مع شخصية من كفر نبل لا ترغب في ذكر اسمها

## سيرورة الأحداث: الإرهابات الأولى

تمّ تسجيل أول مشاركة لمنطقة جسر الشغور وجبل الزاوية في الحركة الاحتجاجية في سوريا في قرية "كنصفرة" القريبة من جبل الزاوية بتاريخ ٨ نيسان/أبريل ٢٠١١ فيما اصطلح على تسميته بـ "جمعة الصمود"، التي رفعت في تظاهراتها شعاراتٍ تطالب بالحرية فقط، حيث لم يكن شعار إسقاط النظام قد تبلور بعد في شعارات الحركة الاحتجاجية<sup>(٤٨)</sup>. ثمّ أخذت التظاهرات تنتقل بشكلٍ بطيءٍ إلى مدينة جسر الشغور في شكل تجمعاتٍ محدودةٍ، لكنها ستسجّل أكبر تجمعٍ لها خلال ما عرف بـ يوم "الجمعة العظيمة" في ٢٢ نيسان/أبريل ٢٠١١، إذ قارب عدد المتظاهرين عشرة آلاف متظاهرٍ رفعوا شعاراتٍ تنادي بإسقاط النظام<sup>(٤٩)</sup>.

وبالعودة إلى البداية، ووفق مفهوم تدخل العامل "العشوائيّ" الذي يجعل كبرى التغيرات تندلع من أحداثٍ بسيطةٍ في ظاهرها، فإن مدينة جسر الشغور (٤٦٤٣٥ نسمة) وقراها (١٠٣٥٦٨ نسمة، بمن فيهم سكان مركز جسر الشغور) لم تدخل بشكلٍ جدّي على خطّ التوتر مع قوّات الأمن إلا في ٩ أيار/مايو ٢٠١١ عقب استهداف حافلة عمّالٍ قادمةٍ من لبنان بالقرب من مصفاة حمص، وهو ما أدّى إلى استشهاد ١١ مواطناً أغلبهم من بلدة الزبّادية وقريتي الزيارة والحواش في سهل الغاب القريبة من مدينة جسر الشغور. واتّهمت الرواية الرسميّة -وفق نهج بات معتاداً- مجموعاتٍ إسلاميةً "متطرّفة" باستهداف الحافلة<sup>(٥٠)</sup>. وكانت هذه البلدات ولاسيما منها الزبّادية -على الرغم من تريفها السابق ثم تمدّنها- ذات جذرٍ عشائري يتّسم بقوة ترابطه المحلي، ويعود في أصوله إلى عشيرة الهنادي ذات الأصل المصري التي قدمت مع جيش إبراهيم باشا في أربعينيات القرن التاسع عشر، وبهذا الأصل كانت تشترك مع معظم التكوين العشائري الأصلي لخان شيخون (مجموع سكان ناحيتها ٥٨٧١٥ نسمة) في منطقة معرّة النعمان، التي سارعت قراها بدورها للتضامن مع أقربائها في الزبّادية<sup>(٥١)</sup>. بينما انتشرت "الشائعات" بين الأهالي بأنّ رجال الأمن ومن يوصفون بـ "الشبيحة" هم الذين استهدفوها، مستندين إلى ما جاء في روايات بعض المصابين والناجين عن اتهامهم الأجهزة الأمنية بالعملية، و"التمثيل" بجثث بعض ضحاياها. وكان انتشار هذه الشائعات كالنار في

<sup>٤٨</sup> لمشاهدة تظاهرة جبل الزاوية بتاريخ ٨-٤-٢٠١١ ومراقبة الشعارات، اتبع الرابط التالي:

[https://www.youtube.com/watch?v=YtvG9uBZI5A&feature=player\\_embedded](https://www.youtube.com/watch?v=YtvG9uBZI5A&feature=player_embedded)

<sup>٤٩</sup> لمشاهدة تظاهرة جسر الشغور بتاريخ ٢٢ -٤-٢٠١١، اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=jJ5ZH8-ceoM&NR=1>

<sup>٥٠</sup> شام برس، "استشهاد ١١ مواطناً بهجوم عناصر إرهابية مسلحة على حافلة قادمة من لبنان"، ٢٠١١/٥/٩،

<http://www.champress.net/index.php?q=ar/Article/view/89614>

<sup>٥١</sup> زكريا، عشائر الشام، ج٢، ص ٥٥٣-٥٥٤.

الهشيم كافياً لتحويل مواكب تشييع الشهداء في مدينة جسر الشغور وقرى الحواش والزيارة والزيادية إلى تظاهراتٍ معاديةٍ للنظام والرئيس<sup>(٥٢)</sup>. وفي ١٣ أيار/مايو ٢٠١١، صبّ المتظاهرون جام غضبهم على رموز السلطة، وقاموا بحرق مبنى الشعبة الحزبية<sup>(٥٣)</sup>. وإزاء تقدم بعض وحدات الجيش، أعلن الأهالي بعد ثلاثة أيام بياناً جماعياً برفض دخولها.

في الفترة الممتدة من "حادثة الحافلة" في ٩ أيار/مايو إلى ما أطلق عليه اسم "جمعة آزادي" (الحرية) في ٢٠ أيار/مايو ٢٠١١، كانت مدينة معرة النعمان (٦٧٤٨٤ نسمةً على مستوى المركز، و١٧٤٣١٥ نسمةً على مستوى سكان الناحية بمن فيهم سكان المركز) مسرحاً لعملياتٍ أمنيةٍ مدعّمةٍ بوحداتٍ عسكريةٍ وُجدت نتيجة التظاهر المستمر لأهالي المدينة والقرى المجاورة، وتوجّههم المستمر إلى الطريق الدولي (دمشق - حلب) وقطعه "سلمياً". لذلك ونتيجةً لارتفاع عدد القتلى في مدينة معرة النعمان المجاورة، ارتفعت حدة التظاهرات المناوئة للنظام، وسجّلت مدينة جسر الشغور في هذه الفترة أكبر تجمعٍ في محافظة إدلب بعد معرة النعمان، وتحديداً في ما أطلق عليه يوم "جمعة الحرية - آزادي" في ٢٠ أيار/مايو ٢٠١١، حيث أعلن فيها مجموعة من شباب المدينة استقلالهم من عضوية حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم رافضين دخول الجيش إلى المدينة<sup>(٥٤)</sup>. وكتبوا على بعض الجدران شعار: "لا إمارة إخوان، ولا سلفية في جسر الشغور، بل ثورة شعبية"<sup>(٥٥)</sup>. وكان ذلك جزءاً من شعاراتٍ عمّت كثيراً من المناطق، ورفعت شعارات "لا سلفية ولا إخوان، الشعب يريد الحرية".

استمرت التظاهرات خلال الفترة الممتدة من ٢٠ أيار/مايو حتى ٣ حزيران/يونيو ٢٠١١ في العديد من قرى وبلدات إدلب، بما فيها أريحا وكفرنبل، دون أيّ احتكاكٍ حقيقيٍ أو مثيرٍ بين القوى الأمنية والمتظاهرين، ولذلك بدأت التظاهرات تتسع أفقياً وعمودياً معوّضةً في كثافتها عن أربعين عاماً من منع "حقّ التجمع" وتجريمه. وبات بإمكان الناس كسر سيطرة النظام الأمني على حياتهم. وخلال ذلك، كان حضور قرى جبل الزاوية القريبة من الحدود التركية، والتي شهدت أكبر تجمعٍ في الجمعة التي أطلق عليها اسم "حماة الديار" بتاريخ ٢٧ أيار/مايو طاعياً. بيد أن تطوراتٍ دراميةً سريعةً ومؤثرةً كانت قد حدثت، وكان لها أثر كبير في توتير حالة الاحتقان في المجتمع السوري بشكل عام، ويمكن تكثيف أبرزها في قضية

<sup>٥٢</sup> رفعت التظاهرات شعاراتٍ مناهضةً للنظام وللرئيس بشار الأسد بعنوان "يا بشار اسمع اسمع .. دم الغاب ما بينباع". لمشاهدة تظاهرات التشييع والشعارات، اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=PteRYnhbpdY>

<sup>٥٣</sup> لمشاهدة المشهد، ومغادرة الحزبيين له إثر بدء اندلاع النيران في المقر، اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=MVo0YqR9paE>

<sup>٥٤</sup> لمشاهدة تظاهرات جمعة "آزادي" في مدينة جسر الشغور، اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=WjhyyEqU5Nw&feature=email>

<sup>٥٥</sup> لمشاهدة هذه الشعارات اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=09koUDEjyqc>

الطفل حمزة الخطيب الذي اعتقل إبان تظاهرة صيدا بدرعا في ٢٨ نيسان/أبريل ٢٠١١، وسلّم إلى عائلته جثة هامدة وعلى جسده آثار تعذيب "وحشية" وتشويهاتٍ "بشعة" وغير محتملة "إنسانياً"، ومثيرة لـ "الكراهية". واضطرت السلطات إلى أن تعترف بالحادثة، وأن يتولى الرئيس بنفسه تهديّة والد الصبي المغدور<sup>(٥٦)</sup>. ومن هذه التطورات أيضاً عملية "تلييسة" و"الرسن" التي سقطت فيها الطفلة هاجر الخطيب في ٢٩ أيار/مايو أثناء استهداف حافلة مدرسية تقلّها<sup>(٥٧)</sup>، وارتكاب الأجهزة الأمنية في حماة لمجزرة أسفرت عن استشهاد ٦٨ شخصاً<sup>(٥٨)</sup>. وتمّ على إثرها توقيف رئيس فرع الأمن العسكري في مدينة حماة وكبار معاونيه وإحالتهم على التحقيق<sup>(٥٩)</sup>.

### استشهاد الشاب باسل المصري، و"غزو" شبّان جبل الزاوية للجسر:

ترافقت المجريات السابقة مع التطورات التي حصلت في مدينة جسر الشغور يوم الجمعة ٣ حزيران/يونيو ٢٠١١، حيث قتل الشاب باسل المصري في الصدمات التي وقعت بين رجال الأمن وأعضاء "اللجان الشعبية" (الشبيحة) وبين المتظاهرين<sup>(٦٠)</sup>. اجتمع في ذلك اليوم نحو ٢٥٠ شاباً في ما أُطلق عليه اسم "ساحة الحرّية"، وخطب فيهم شاب عصري الزي يرتدي بنطلون جينز، وزيّنت الساحة برائتين تحمل الأولى

<sup>٥٦</sup> استقبل الرئيس السوري بشار الأسد بتاريخ ٣٠-٥-٢٠١١ والد الشهيد حمزة الخطيب الذي لم يدل بأية تصريحاتٍ عن حادثة الوفاة، وقال إن الرئيس "وعد بتنفيذ المطالب الإصلاحية". وتمّ تشكيل لجنة تحقيق لكشف ملابسات الحادث، انتهت إلى أن الآثار التي لوحظت على الجثة هي نتيجة لتفخخات سببها بقاء الجثة في برادات الموتى لفترة طويلة. وذكرت صحيفة الوطن شبه الرسمية أنه تم إلقاء القبض على العصابات المسلحة التي قتلت الطفل حمزة الخطيب.. انظر صحيفة الوطن ٦-١-٢٠١١ على الرابط التالي:

<http://www.alwatan.sy/dindex.php?idn=102338> كانت جثة الصبي قد سلّمت من قبل المشفى إلى الأجهزة الأمنية المعنية، ولكن هذه الجثة ظلت مهملّة دون تبريدٍ مما ألحق التفسخ بها. وسلّمت بشكل متأخر جداً من قبل الأجهزة إلى ذويها بشكلها المثير والمفزع، مما عزز نظرية التمثيل والتشفي بجسم الصبي المغدور.

<sup>٥٧</sup> استهدفت حافلة المدرسة التي تقلّها في تلييسة مع بدء الحملة العسكرية على الرسن وتلييسة، واتهمت السلطات عصابات مسلحة بارتكاب الجريمة. قارن مع فيديو يظهر بعض الأطفال الناجين من استهداف الحافلة في مشفى الرسن بتاريخ ٢٩-٥-٢٠١١:

<http://www.youtube.com/watch?v=8ut4ujEu3B8>

[http://www.youtube.com/watch?v=v0h3v\\_wXVok](http://www.youtube.com/watch?v=v0h3v_wXVok)

وفي الوقت الذي قال فيه أحد المصابين إن قوات الجيش والشبيحة أطلقت النار على المتظاهرين، نقلت صحيفة الوطن عن سانا أن مجموعاتٍ مسلحةً اعتلت أسقف المنازل، وأطلقت النار، مما أسفر عن استشهاد الملازم أول بسام طلاس وهاجر الخطيب. يرجى اتباع الرابط التالي:

<http://www.alwatan.sy/dindex.php?idn=102246>

<sup>58</sup> BBC: "Syria: 'Dozens killed' as thousands protest in Hama" 4-6-2011

<http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-13642917>

<sup>٥٩</sup> في جمعة "أطفال الحرية" في مدينة حماة، حدث اختلاط كبير وخلل في الروايات الرسمية التي جاءت في التلفزيون السوري بأن مجموعة مسلحة حاولت الهجوم على فرع حزب البعث العربي الاشتراكي في المدينة، ليعترف الإعلام الخاص بمسؤولية السلطات عن المجزرة بعد ظهور مقاطع فيديو تظهر بما لا يقبل اللبس القتل المتعمد من قبل رجال الأمن والشبيحة للمتظاهرين. اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=hZmykYNbeEw>

بعد ذلك، ذكر موقع دي برس السوري أنه تمت إحالة محمد المفلق رئيس فرع الأمن العسكري على التحقيق بقرار من الرئيس الأسد الذي شكّل لجنة للتحقيق في أحداث حماة.

<http://www.dp-news.com/pages/detail.aspx?articleid=86539>

وأصدرت اللجنة قراراً بعزله وإحالتة مع اثنين من معاونيه على التحقيق.

<sup>٦٠</sup> مركز الشرق العربي، "حراك الثورة السورية"، ٢٠١١ /٦/٤،

<http://www.asharqalarabi.org.uk/ruiah/b-sharq-270.htm>

ولمشاهدة فيديو تشييع باسل المصري اتبع الرابط التالي:

[http://www.youtube.com/watch?v=26VY8525h1Q&feature=youtube\\_gdata](http://www.youtube.com/watch?v=26VY8525h1Q&feature=youtube_gdata)



بالإنجليزية "شكراً للاتحاد الأوروبي"، بينما كانت الراية الثانية عبارةً عن العلم التركي، وكتب عليه بالتركية "شكروزال أردوغان"<sup>(٦١)</sup>. وحصلت عملية تعبئة مكثفة للشباب، برز فيها دور المرأة المسلمة "المنقبة" في التظاهرات، إذ خطبت ذلك اليوم إحدى السيدات "المنقبات" -بحيث لا تظهر سوى عينيها- في جمعٍ من المحتشدين تستثيرهم للانتفاض<sup>(٦٢)</sup>. عصر اليوم نفسه، وصل عشرات الشباب "الملثمين" من قرى جبل الزاوية، التي كانت قد انخرطت قبل نحو أسبوعٍ بكثافةٍ كبيرةٍ نسبياً إلى عدد سكانها في حركة التجمهرات والتظاهرات الاحتجاجية الغاضبة. وقد وصلوا على دراجاتهم النارية إلى المدينة وفي عيونهم الثأر، يحملون أسلحةً اشتروها من السوق السوداء، أو حصلوا عليها من بعض مخازن الأسلحة الحكومية التي تمكنوا من الاستيلاء عليها<sup>(٦٣)</sup>. وفي الحال تمت مدهامة سجن الشغور، وتم الإفراج عن المسجونين فيه<sup>(٦٤)</sup>. وفي اليوم التالي، سقط في موكب التشييع المحاط من قبل رجال الأمن وميليشيا "اللجان الشعبية" (الشبيحة) شهيدان وتوفيت امرأة مسنة، وأصيب اثنان من المشييعين بجراحٍ تم نقلهما بعد ذلك بقليلٍ إلى الأراضي التركية<sup>(٦٥)</sup>، بسبب تعذر نقلهما إلى المشفى الذي أخذت المعارك تدور حوله، إذ بدلاً من أن يفرق القتل المشيعين، وبيت الذعر فيهم أهاجم وزاد من غضبهم، وبات الثأر في عيني كل واحد منهم. فلقد كانت ذكرى إعدام أحد أعضاء القيادة القطرية لأحد عشر شاباً من شبان جسر الشغور في العام ١٩٨٢ لا تزال حاضرةً في الاستذكارات<sup>(٦٦)</sup>.

هاجت المدينة رداً على عملية القتل للتو، وحدث شكل هياجها وفق نمط "القومات" الشعبية المدنية أو الحضرية التقليدية في القرن التاسع عشر تماماً. وكما كان يحدث تقليدياً في هذه القومات، حدث الأمر هنا تماماً، إذ توجّهت "قومة" الجسر إلى مستودع الجيش الشعبي، وتمكّنت من اقتحامه والسيطرة على أسلحته،

<sup>٦١</sup> لمشاهدة ذلك اتبع الرابط التالي:

[http://www.youtube.com/watch?v=\\_Uh5Q8e0HOc](http://www.youtube.com/watch?v=_Uh5Q8e0HOc)

<sup>٦٢</sup> للاطلاع على المشهد اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=pVjsC7Yyvrk>. تشير بعض الشهادات إلى أن الخمار لم يكن دليلاً خاصاً بل كان نوعاً من "الثام" لدى الذكور لإخفاء شخصية النسوة.

<sup>٦٣</sup> من جواب محمد سيد رصاص عن أسئلة وجهها الباحث له. وحول تسليح العشائر من السوق السوداء قبل عملية الغزو، تم الاعتماد على رسالة رجاء الناصر للباحث يوم ٢٣ تموز/يوليو ٢٠١١، وتمت مقاطعة هذه المعلومات مع محادثة أجراها الباحث مع أبي أسامة سيجري في ٥ آب/أغسطس ٢٠١١.

<sup>٦٤</sup> يفترض أنهم سجناء جنائيون أو لجنج، إذ أن الموقوفين الأمنيين يتم إيداعهم في أقبية أجهزة المفزة الأمنية. للاطلاع على المشهد اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=0cdiV-SSAYk>

<sup>٦٥</sup> إيلاف، "تركيا تستقبل الجرحى السوريين للمعالجة في مستشفياتها"، ٦-٦-٢٠١١.

<http://www.elaph.com/Web/news/2011/6/660214.html?entry=articleRelatedArticle>

ولمشاهدة فيديو وصول أول جريح سوري إلى الحدود التركية في ٤-٦-٢٠١١، اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=n4-CiFoV44Y&feature=youtu.be>

<sup>٦٦</sup> نفذ هذه الجريمة أحد أعضاء القيادة القطرية يومئذ ميدانياً من دون محاكمة وخارج القضاء، ثم صدر بعد ذلك مرسوم بتشكيل المحاكم الميدانية وتقويضها بصلاحياتها، وغطيت هذه المجزرة مع غيرها.

على غرار توجّه "القومات" السابقة إلى مستودعات الأسلحة. وبهذه الأسلحة تمكّن بعض المحتجّين من اقتحام المقرات والمنشآت الأمنية والحزبية والحكومية، وتحولت العملية وفق المنطق الذي يحكم "القومات" إلى اضطراباتٍ وأعمال عنف استهدفت رموز الحكومة القائمة في المنطقة من المنشآت العامة، والمسؤولين الحزبيين والحكوميين المحليين. ووقعت الاشتباكات الأعنف عند مقرّي المفزة الأمنية الخاصة بالأمن العسكري والبريد الذي ترابط فيه بطبيعة الحال قوة أمنية. واستمرت هذه الاشتباكات حول المبنيين وفي الشوارع وفق الرواية شبه الرسمية ٣٦ ساعة<sup>(٦٧)</sup>، وكانت هي المفزة الوحيدة التي قاتلت حتى النهاية بعد انسحاب مقرّتي أمن الدولة والأمن السياسي. وتعرضت تبعاً لذلك معظم المنشآت والمباني والآليات العامة، وشبكات المياه والكهرباء والاتصالات والصرف الصحي للتخريب، وغدت الحياة اليومية صعبةً في الجسر<sup>(٦٨)</sup>.

خلال ذلك، وفي يوم ٥ حزيران/يونيو كانت التظاهرات تعم جسر الشغور وسط الاضطرابات، وقتل ٣٨ مواطناً في الاضطرابات، ونقل ٢٠ مصاباً إلى أنطاكية لتلقّي العلاج. ورافقت الاضطرابات تظاهرة صغيرة على الحدود السورية- التركية مؤلفة من ١٠٠ متظاهر تستصرخ رئيس الوزراء التركي أردوغان بهتافات "أردوغان، أردوغان"<sup>(٦٩)</sup> على طريقة "وامعتصماه، وامعتصماه"<sup>(٧٠)</sup>.

زاد عدد الشهداء بين المتظاهرين من التوتر، وقلب ذلك ميزان القوة لصالح المتظاهرين الناقمين، ووقعت المرحلة الأخيرة من الاشتباكات الضارية بين المسلحين وقسم كبير منهم من العشائر من جهةٍ وبين رجال الأمن و"اللجان الشعبية" (الشبيحة) من جهةٍ ثانيةٍ في يوم ٦ حزيران/يونيو ٢٠١١، حيث أُبِيد معظم رجال المفزة الأمنية وأعضاء اللجان الملتجئون إلى مقرّ المفزة عن بكرة أبيهم. وبلغ عددهم وفق الرقم الرسمي ١٢٠ شهيداً<sup>(٧١)</sup>، ويبدو أنه قد مثّل بجنتهم، ودفنوا في مقابر جماعيةٍ بدائيةٍ<sup>(٧٢)</sup>، فلقد اجتثّ التوتر وما

<sup>٦٧</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٦/١٦.

<sup>٦٨</sup> ظلت هذه المنشآت في حالة تعطل وخراب جزئي أو كلي حتى ٢٠ تموز/يوليو ٢٠١١ على الأقل. قارن مع خبر عن خطة عمل مجلس المدينة

لترميمها وبنائها وتشغيلها. الوطن، ٢٠١١-٧-٢٠.

<sup>٦٩</sup> تظاهرة على الحدود التركية ٥-٦-٢٠١١.

[http://www.youtube.com/watch?v=YRpszVxJf\\_o](http://www.youtube.com/watch?v=YRpszVxJf_o)

<sup>٧٠</sup> المصدر السابق نفسه.

<sup>٧١</sup> نشرت الوطن (السورية) بشكلٍ لاحقٍ يوم ٢٠١١/٦/٢١ أن "حصار المفزة استمر ٢٨ ساعة، وبما يعكس حجم الدمار الذي لحق بالمبنى الذي فجرته العصابات المسلحة فوق رؤوس رجال المفزة البالغ عددهم ٨٢ عنصراً" (الوطن، ٢٠١١/٦/٢١). ونشرت في هذا السياق تقريراً عن جولة المبعوثين الدبلوماسيين والصحفيين إلى المقبرة الجماعية الثالثة التي ضمت ما بين ١٧ و٢٠ شهيداً من شهداء مفزة الأمن العسكري". (الوطن، ٢٠١١/٦/٢١). قارن مع تقرير إخباري مصور للفضائية السورية على الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=LdolkR-nF8s&feature=related>

<sup>٧٢</sup> نشرت الوطن كما كافة أجهزة الإعلام صوراً عن "فضاعة الجريمة التي تجاوزت كل الحدود، حيث الجثث المقطوعة الرؤوس والأطراف والجذع والمحروقة والمشوهة" (الوطن ٢٠١١/٦/٢١)، بينما رأت مصادر مستقلة (عبارة عن شهادات يجب أخذها بحذر أيضاً) أن صورة التشويه والتمثيل قد بولغ فيها. ونشر هنا رواية رجاء الناصر المتابعة بشكلٍ موثوقٍ لأحداث الجسر مع رؤيتها التحليلية، حيث تقول: "في ريف إدلب بما فيه جسر

ارتكبه الأمن ورجال الشبيحة شأفة الرحمة من النفوس. وفي مثل هذه الأجواء المصابة بوباء "الكراهية" يتطهر القتلة بالانتقام من قتلهم، أو "سلخ الشاة"، سواء أكانوا من هذا الطرف أم ذاك. وهذه هي ثاني حالة يتم فيها الحديث في سورية عن مقابرٍ جماعية. لقد لعبت مبالغة بعض القنوات بتكرار نشر صورة الجنود الذين يدوسون أجساد ضحاياهم المدنيين العزل في "البيضا" دوراً في تغذية ثقافة "الكراهية". وكان ما حدث في الجسر من التمثيل بالجثث نموذجاً عكسياً من "جرائم الكراهية" يرد "بالمنطق نفسه" على "جرائم" سابقة<sup>(٧٣)</sup>. وهو ردّ يعكس ديناميةً ذاتيةً مرضيةً وعدوانيةً ينتمص فيها المقموع شخصية القامع، وتشتغل هذه الدينامية بطريقة "التشفي" التي تميّز "جرائم الكراهية".

وفي هذا اليوم سقطت جسر الشغور وكامل بلدات المنطقة تقريباً في أيدي الأهالي، مثل بلدات الزعينية، والناجية، واليوسفية، والحسينية، وأورم الجوز غرب أريحا. وكانت في بعض هذه البلدات مخازن أسلحة للجيش الشعبي، فزادت كمية الأسلحة في أيدي الصبية والشباب<sup>(٧٤)</sup>.

### بروز هرموش ونشوء مخيم الجسر: جوكر أردوغان

في هذه اللحظات الحرجة، برز اسم المقدم حسين هرموش أحد ضباط ملاك الفرقة الحادية عشرة إلى السطح، وأعلن بعد أيامٍ قليلةٍ مع نحو ١٠٠ من الجنود عن انضمامه إلى ما أسماه بـ "لواء الضباط الأحرار"<sup>(٧٥)</sup>، بما يوحي بأنّ هذا اللواء قائم ومشكّل مسبقاً. ويررّ هرموش تمرّده باحتجائه على "الفظائع" التي يرتكبها الجيش، وانحرافه عن واجبه، وبوقوع "مجزرة جسر الشغور في ٤ حزيران/يونيو ٢٠١١"<sup>(٧٦)</sup>.

الشغور المسألة أكثر تعقيداً، هناك احتقان تاريخي منذ الثمانينيات، وهناك احتقان مذهبي.. التظاهرات ووجهت بقنصاة من الأجهزة الأمنية "وشبيحة". ومعظم الشبيحة كانوا من فئة معيّنة بكلّ أسف، جرى تجييشهم من قبل النظام.. هذا الوضع استحضر كلّ ما في مرحلة الثمانينيات، وعلى ما يبدو أنه اتخذ قراراً بالمقاومة. وبدأت العشائر بشراء الأسلحة من السوق السوداء، وكان هناك استعداد للمواجهة.. يوم المجزرة الرهيبة بدأ القنصاة بإطلاق النار على المتظاهرين، ووقع بعض القتلى.. تقدمت مجموعات الحماية وحاصرت البريد الذي تحصّن فيه القنصاة من مفرزة الأمن العسكري، واستطاعت القضاء على جميع من فيها من العسكريين، كما نصبت كمانن للنجذات، وتم القضاء عليها والاستيلاء على أسلحتها. الوضع أثار حالةً من الفزع الشديد لدى طائفةٍ معيّنة، والتي كان عدد من أفرادها أمنيين وشبيحة ومؤيدين للنظام.. وانتشر هذا الوضع في معظم مناطق ريف إدلب، وإن كان بصورة أقلّ بكثيرٍ، وعند اقتحام الجيش للمناطق تعمق الاحتقان المذهبي وإن كان غير معلن في كثير من الأحيان.. ولكن مرة أخرى لم يثبت وجود خلايا سابقة للأحداث.. ولكنه ثبت أن المقاومة كانت أكثر تنظيماً وتخطيطاً، وربما يعود الأمر لوجود عسكريين منشقين وإن كانوا أفراداً من أبناء المنطقة" (من رسالة رجاء الناصر إلى الباحث، يوم ٢٣ تموز/يوليو ٢٠١١).

<sup>٧٣</sup> انفرد عزمي بشارة بنقد الجزيرة من منبر الجزيرة نفسها في هذا الموضوع. ودعا القناة إلى وقف بث هذه الصور مركزاً اعتراضه على ما تبثه من صور عن جرائم الكراهية وسلوكها السياسي المشوه المضاد لطبيعة الإنسان بوصفه إنساناً، وما تؤثر فيه سلوكياً.

فتعرض عزمي بشارة إثر ذلك إلى حملة شعواء في بعض المواقع السلفية وغيرها، تتهمه بـ "خيانة الثورة السورية". قارن مع يوسف الأحمد، "عزمي

بشارة وخيانتته للثورة السورية"، على الرابط: <http://www.jazanall.com/vb/t540.html>

<sup>٧٤</sup> الوطن (السورية)، ٥ حزيران/يونيو ٢٠١١

<sup>٧٥</sup> بيان انشقاق المقدم حسين هرموش، ٩-٦-٢٠١١

[http://www.youtube.com/watch?v=iY\\_mzXRnNzU](http://www.youtube.com/watch?v=iY_mzXRnNzU)

<sup>٧٦</sup> تصريح المقدم المنشق حسين هرموش لقناة العربية، ١٠-٦-٢٠١١.

<http://www.youtube.com/watch?v=TLtiCtffUzs>

وتحدّث عن ضابط برتبة ملازم معه، وعن تلقّيه وعداً بانضمام ٢٠٠ عنصر نظامي إليه بينهم أربعة ضباط<sup>(٧٧)</sup>. وغدا الهرموش قائد "القومة". ومع بروزه بدأ طور جديد في الأحداث، أدّى إلى اقتلاع أهل جسر الشغور، وهجرتهم إلى الحدود التركية- السورية القريبة. والهرموش هو من بلدة إبّلين بجبل الزاوية، ولا يستبعد أن عملية غزو شبّان جبل الزاوية للجسر قد تمّت بالتنسيق المسبق معه، ومع مسلّحي الجسر داخل المدينة.

بنّت السلطات معلوماتٍ عن قوى مسلّحةٍ في منطقة جسر الشغور تمتلك "تجهيزاتٍ ومعدّاتٍ متطورة"<sup>(٧٨)</sup>، في حين تحدّث الإعلاميون القريبون منها عن امتلاك هذه القوى معدّاتٍ تفوق تقانيتها المتقدمة ما يمتلكه الجيش السوري<sup>(٧٩)</sup>. وكان ذلك في الواقع تمهيداً لعملية جسر الشغور، وتبين أنه مجرد خطاب تهويلي لتبرير العملية<sup>(٨٠)</sup>. وتوجّهت في ضوء ذلك بعض ألوية الجيش من دمشق إلى جسر الشغور للقضاء على هذه "العصابات". وكانت "قومة" الجسر التي وضع هرموش -باسم ما أسماه بـ "لواء الضباط الأحرار" - يده على قيادتها قد سيطرت على المنطقة مدة أسبوعٍ ونيفٍ، تمتد من ٤ إلى ١٢ حزيران/يونيو ٢٠١١ تقريباً. وفي صباح يوم ١٢ حزيران/يونيو ٢٠١١، وصلت وحدات الجيش إلى مشارف الجسر. وبدلاً من أن يقاوم هرموش كما وعد شبّان "القومة" الذين وجدوا أنفسهم في حماة القتل "البارد" لهم إبان التظاهرات والتشيع متورطين بالأسلحة، كان قد قام منذ ٨-٩ حزيران/يونيو بإخلاء جسر الشغور ومناطقها من السكان، وتوجيههم للنزوح إلى الحدود السورية- التركية القريبة<sup>(٨١)</sup>. وقد بدأت أولى عمليات الانتقال إلى تركيا بنقل مصابين اثنين في اشتباكات ٤ حزيران/يونيو إلى تركيا<sup>(٨٢)</sup>. وأصبحت عملية تهجير منظمة للسكان، بمعنى توجيههم إلى تركيا قبل وصول وحدات الجيش إلى الجسر. وكما هي العادة في مثل هذه الحالات الحرجة والشديدة الحساسية، فإن السكّان "المرعوبين" يتصرفون تحت هول "الذهول".

<sup>٧٧</sup> تصريح المقدم المنشق حسين هرموش لقناة الجزيرة ١٢-٦-٢٠١١.

<http://www.youtube.com/watch?v=xqDTWj1kN-c>

<sup>٧٨</sup> الوطن السورية، "جسر الشغور خارج السيطرة والجيش بدأ تحركاته"، ٧-٦-٢٠١١.

<http://www.alwatan.sy/dindex.php?idn=102696>

<sup>٧٩</sup> تصريح الإعلامي (السوري) شريف شحادة لقناة الجزيرة، بتاريخ ٩-٦-٢٠١١.

<sup>٨٠</sup> نشرت جريدة الوطن (السورية) شبه الرسمية، معلوماتٍ منقولةً عن قادة الوحدات العسكرية التي دخلت جسر الشغور بأنه تمّ دخول المدينة "خلال

٢٤ ساعة وتطهيرها خلال ٤٨ ساعة"، الوطن، ١٦/٦/٢٠١١.

<sup>٨١</sup> تحدّث هرموش في ٩ حزيران/يونيو ٢٠١١ لقناة "العربية" عن أن منطقة جسر الشغور خالية من السكان، وأنه قام بإخلاء ٩٠% من السكان منها،

بينما هناك ١٠% من السكان يستخدمهم الجيش كدروع بشرية. ولم يقدم ما يعضد رواية الدروع البشرية.

<sup>٨٢</sup> لم يشر هرموش إلى أي عملية تفخيخ للطرق التي سيسلكها الجيش في تقدمه نحو جسر الشغور، بل تحدّث عن كمائن، ويفترض أن تتضمن الكمائن

عمليات التلغيم، بينما تحدّثت الرواية شبه الرسمية لاحقاً قائلة إن "التنظيمات المسلحة سرقت خمسة أطنان من الديناميت و ٥٠٠ كيس من السماد

واستخدمتها في تفخيخ الطرقات والجسور المؤدية إلى المدينة التي كان من المفترض أن تعبرها وحدات الجيش". (الوطن، ٢٠/٦/٢٠١١).

وفي ١١ حزيران/يونيو ٢٠١١ أي قبل يومٍ واحدٍ من بلوغ وحدات الجيش الجسر، واصل هرموش تهجير السكان وتوجيههم إلى الحدود السورية-التركية. وفي ١٢ حزيران/يونيو حين بلغ الجيش الجسر، وبدأ يمهدّ لدخوله بعملية قصفٍ مدفعي وصاروخي حسب رواية هرموش، فإن هرموش نظّم بمساعدة بعض شباب قرية "أورم الجوز" مجموعة كمائن لتأخير دخول الجيش<sup>(٨٣)</sup>. وتبنى ما وصفه بـ "سياسة" إخلاء من تبقى من السكان إلى تركيا شاكراً "تركيا شعباً وحكومةً". وقال: "ليس لدي غير هذه السياسة"، وإننا "استطعنا إخلاء أكثر من ٩٠% من جسر الشغور"، بما في ذلك القرى<sup>(٨٤)</sup>.

بدأت أولى فصول المأساة الإنسانية والسياسية للمهجرين السوريين من مدينة جسر الشغور وقراها. وكان المهجرون الأوائل مؤلّفين بصورةٍ أساسيةٍ من نساءٍ وصبيةٍ وأطفالٍ. وحتى ١٢ حزيران/يونيو ٢٠١١ الذي دخل فيه الجيش جسر الشغور؛ بينما فرّ هرموش وعناصره إلى الحدود؛ كان عدد الذين استوعبتهم السلطات التركية يقارب نحو ٥٠٠٠ مهاجر، لكنها حدّت من دخول النازحين الآخرين الذين قدّر عددهم ببضعة ألوف، وسهّلت لنحو ٥٠٠ منهم بناء مخيماتٍ بمحاذاة الشريط الحدودي، بينما بقي عدة آلاف معلقين على الحدود<sup>(٨٥)</sup>. وفي المجمل، بلغ عدد النازحين أكثر من ١٥ ألف نازحٍ ونيف<sup>(٨٦)</sup>، وتبيّن لاحقاً أنّ ما لا يقلّ عن خمسة آلاف منهم ينتمون إلى مناطق اللاذقية وبانياس ودرعا<sup>(٨٧)</sup>. أمّا أهالي قرى (اشتبرق) و(ديرثمان) (والقنية العلوية) القريبة من مدينة جسر الشغور، فقد أخذوا قراهم مع توتر الأحداث. وأقام بعضهم في شاليهات مضيئة خاصة في منطقة الشاطئ الأزرق<sup>(٨٨)</sup>. بينما عزلت قوات الجيش السوري

<sup>٨٣</sup> وقعت أربع باصات عسكرية في أحد هذه الكمانن، وقتل كل من فيها. وقيل إن المقدم المنشق حسين هرموش وجماعته شاركوا في الكمين. وتجدر الإشارة إلى أن أهالي أورم الجوز كانوا قد قطعوا الطريق بحرق الدواب لتأخير وصول الإمدادات إلى الجسر. (من رسالة خطيب بدلة إلى الباحث يوم ١١ آب/أغسطس ٢٠١١).

<sup>٨٤</sup> تصريح هرموش الصوتي للجزيرة يوم ١٢ حزيران/يونيو ٢٠١١

<http://www.youtube.com/watch?v=xqDTwj1kN-c>

<sup>٨٥</sup> مراسل الجزيرة صهيب الباز من منطقة جوادجي في الساعة السادسة من يوم الأحد ١٢ حزيران/يونيو ٢٠١١.

<sup>٨٦</sup> "بلغ إجمالي عدد النازحين السوريين إلى تركيا لغاية اليوم ١٥ ألفاً و ٧١٣ لاجئاً عاد منهم إلى سوريا ٧ آلاف و ٤٤٠ شخصاً. لكنه مالبت أن انخفض في أواسط تموز/يوليو ٢٠١١ إلى نحو (٨) آلاف و (٢٧٣) لاجئاً" أخبار العالم، استناداً إلى وكالة "جيهان" التركية، قارن مع الرابط:

<http://www.dunyatimes.com/ar/?p=12797> وحتى أواخر تموز/يوليو كان مازال هناك عدد كبير من النازحين إلى الحدود السورية-

التركية لكنهم ظلوا داخل الأراضي السورية المتاخمة من دون أن تسمح لهم السلطات التركية بعبور الحدود. وقدّرت المصادر الرسمية عددهم بما يتراوح بين (٧٥—١١٢٥) نازحاً، وصفتهم بمسلّحين حصلوا على أسلحتهم وألياتهم بطريقة السرقة، ولا يمكن للجيش أن يقوم بعملياتٍ ضدّهم بسبب متاخمتهم للحدود (الوطن (السورية)، ٢٥/٧/٢٠١١). ونقلت صحيفة «الوطن» "بأن مجموع عدد المهجرين العائدين بلغ نحو ٨٠٠٠ مواطن من أصل نحو ١٥٠٠٠ مهجر أعلن عنهم الجانب التركي، منهم نحو ٣٠٠٠ مواطن من مدينة جسر الشغور وباقي مناطق المحافظة و ٥٠٠٠ مواطن من محافظاتٍ أخرى كدرعا واللاذقية وبانياس"، الوطن، ٢٠١١/٧/١٢

<sup>٨٧</sup> هذا ممّا يفهم من الأرقام التي قدمتها جريدة الوطن (السورية) عن حجم العائدين، وتشتمل على عودة (٥٠٠٠) مواطن نزحوا إلى تركيا من محافظاتٍ أخرى كدرعا واللاذقية وبانياس"، الوطن، ٢٠١١/٧/١٢

<sup>٨٨</sup> من أجوبة بسام يونس عن أسئلة الباحث.

بعد وقتٍ قصيرٍ قرىٍ حدوديةً في المناطق الشمالية الغربية للبلاد، وأقامت حواجزً ونقاط تفتيش، في محاولةٍ لوقف نزوح اللاجئين السوريين الذين تدفقت أفواجٌ جديدة منهم على الجانب السوري من الحدود<sup>(٨٩)</sup>.

مع ذلك، لم ينجح هرموش ومن خلفه -على ما يبدو- في توجيه أكثر من عدد محدود من سكان الجسر إلى تركيا، يقدر بـ ٣٠٠٠ نسمة<sup>(٩٠)</sup>، إذ فضل معظم الأهالي الهجرة إلى حلب أو إلى اللاذقية على الهجرة إلى تركيا. ونتيجة ذلك استوعبت مدينة حلب ما لا يقل عن ٣٠٠ ألف مهاجر من إدلب وحماة، وكان معظمهم من قرى وبلدات إدلب، مما أدى إلى ارتفاع الإيجارات بنسبة ٤٠ في الأحياء الشعبية لمدينة حلب. وتضاعف إيجار المزارع التي يمكنها أن تأوي العائلات الكبيرة أو أكثر من عائلة ثلاثة أمثال ما كان عليه<sup>(٩١)</sup>.

كانت وظيفة المخيمات التي نصبتها حكومة أردوغان في أوائل نيسان/أبريل ٢٠١١<sup>(٩٢)</sup>، وسط دهشة عامةٍ من عدم وجود أي مبررٍ لها، ووجود قناةٍ راسخةٍ بأن مجموعة اللاجئين الذين أوتهم تلك المخيمات ليسوا سوى مجموعاتٍ مختلقةٍ قد توضححت الآن، فلم تكن تلك المخيمات سوى تجربةٍ استكشافيةٍ اختباريةٍ لـ "القادم الأعظم". وبنشوء مخيم "النازحين" السوريين في جسر الشغور يبدأ فصل فرعي جديد في لعبةٍ كبرى، شكّل فيها المخيم "جوكر أردوغان". وبانتت تركيا تملك ورقةً إضافيةً بوصفها من أكبر اللاعبين في الشأن السوري، ومن أقواهم تأثيراً، إذ ستحتضن وبدءاً من نيسان/أبريل مؤتمرات واجتماعات ولقاءات المعارضة السورية في الخارج، ذلك بمبرر تعريفها للوضع السوري كجزءٍ لا يتجزأ من مفهوم أمنها القومي، ومن مصالحها العربية العليا التي تمثل سورية بوابتها، ومخاطر الاضطراب في سورية على الوضع الأمني في تركيا.

زادت عملية النزوح إلى تركيا بسبب مدهامة الجيش لقرى ناحية كفرنبل المنطقة الجنوبية لجبل الزاوية، والتي يعتبر مركزها مدينة "كفرنبل" مركزاً رئيساً وتجمعاً للاحتجاجات المعارضة<sup>(٩٣)</sup>، وقد دخل في مجال

<sup>٨٩</sup> - دار الحياة: نقاط تفتيش وعزل قرى حدودية ومساعدات تركية للاجئين، ٢٠ - ٦ - ٢٠١١،

<http://www.daralhayat.com/portalarticlendam/279830>

<sup>٩٠</sup> وفق الأرقام التركية التي ذكرت جريدة الوطن (السورية) أن الجانب التركي قد قدمها إلى الجانب السوري، الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/١٢  
<sup>٩١</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/٥. علينا أن نأخذ هذا الرقم ٣٠٠ ألف نسمة في حدود شهر تموز/يوليو ٢٠١١ بحذر. لكن، يمكن قبول أن يكون أكثر منه بعد ذلك بسبب هجرة نساء وأطفال حماة.

<sup>٩٢</sup> في ٣ نيسان/أبريل ٢٠١١ استقبلت تركيا ٢٥٠ شخصاً سوريا بينهم ٦١ طفلاً دخلوا الحدود التركية بعد اختراقهم الأسلاك الشائكة. وتم نقلهم إلى قاعدة رياضية في بلدة يابلا داغ في ولاية هاتاي (لواء الاسكندرون). وأعلنت الحكومة عزمها على إنشاء مخيم مؤلف من ٥٠ خيمة، بينما أرسل الهلال الأحمر التركي ١٣٠ خيمة لهذا الغرض، وزودها بالتجهيزات الأساسية بشكل يكون فيه المخيم قابلاً للتوسيع.

<http://turkeytoday.net/node/4172>

<sup>٩٣</sup> الوطن، (السورية)، ٢٠١١/٧/٥.

الحركات الاحتجاجية بشكلٍ مبكّرٍ. وتعتبر كفرنبيل التي تبعد نحو ١٠ كلم إلى الغرب من مدينة معرة النعمان من المدن المتناهية في الصغر، إذ يبلغ عدد سكانها ١٧٩٨٠ نسمة بينما يبلغ إجمالي سكان ناحيتها ٧٨٤٧٧ نسمة<sup>(٩٤)</sup>. وتعتبر بلدات كفرومة وحاس الممتدّتين من دون انقطاع بين المعرة وكفرنبيل، وبلدة بداما في هضبة القصير؛ من أبرز البلدات الصغيرة المهمّشة التي انخرطت في حركات الاحتجاج. واعتبرت الرواية شبه الرسمية كفرومة وحاس "المعقل الرئيس للتنظيمات والمجموعات المسلحة في منطقة معرة النعمان"<sup>(٩٥)</sup>. ثم أصبح في بداما التي كانت مركز ناحية، لكنها في حدّ ذاتها بلدة متناهية في الصغر (٤٨٤٢ نسمة)، ولا يتجاوز حجمها مع محيطها من قرى ٢١٥٢١ نسمة. وقد انخرطت بداما وقراها في حركات معرة النعمان، التي توحدت كمدينة في مواجهة الأمن، وهو ما جعل المفارز الأمنية فيها تنهار، واضطرت عناصرها إلى الاختباء في منازل بعض الأهالي<sup>(٩٦)</sup>. وغدت المعرة مدينةً خاليةً من الأجهزة الأمنية، وسيطر الأهالي عليها بشكلٍ كاملٍ. وظلّ التوتر قائماً فيها طيلة الأسابيع اللاحقة، وحتى أواخر تموز/يوليو ٢٠١١.

## مجزرة حماة: من اليوم الدامي إلى عصيان حماة

### بين حركات المركز وحركات الأطراف: نظرة مقارنة بين حماة وحمص

تعتبر مدينة حماة من المدن الكبيرة الحجم سكانياً، إذ يقطن فيها ٣٥٩٩٦٤ نسمةً، لكنها مع مجموع النواحي الأربع لمركز حماة: صوران، حر بنفسه، مركز حماة، الحمراء؛ فإنها تبلغ ٧٤١٩٤٨ نسمةً. أما إجماليّ سكان المحافظة فيبلغ ١٥٩٢٩٩٣ نسمة<sup>(٩٧)</sup>. وباعتبار أنّ مشاركة ناحيتي حر بنفسه (٦٢٧٩٣ نسمة)، والحمراء (٣٧٥٠٤ نسمة) المنحدرتين من أصولٍ بدويّةٍ كانت محدودةً وبسيطةً، فإنّ المجال البشري لسيرورة الحركات الاحتجاجية وتطورها إلى عصيان مدني جرت في المجال البشري لمركز المدينة

<sup>٩٤</sup> تقدير عدد السكان في سورية للعام ٢٠١٠، مصدر سبق ذكره.

<sup>٩٥</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/٥.

<sup>٩٦</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٦/٢٢.

<sup>٩٧</sup> تقدير عدد السكان في سورية للعام ٢٠١٠ (بالاستناد لعمليات حسابية على أساس نتائج تعداد السكان في سورية للعام ٢٠٠٤، ومعدلات النمو السنوي للسكان خلال الفترة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٠).

(٣٥٩٩٦٤ نسمة)، بينما كان المجال البشري للتظاهر يشمل مركز مدينة حماة وريفها الشمالي وبدرجة أقل بعض قرى ريفها الشرقي، وهو بصورة أساسية مدن صوران وقرها (١٠٤٢٦٧ نسمة)، ومدينة حماة وقرى المركز: طيبة الإمام، كفر زيتة، حلفايا، كفر نبودة (٥٣٧٣٨٤ نسمة)؛ أو ما يعادل ٦٥١ ٦٤١ نسمة، يشكل منهم الإناث النصف ونيف<sup>(٩٨)</sup>. بينما يجري الجانب الثاني من الأحداث في مركز قلعة المضيق السني الذي يبلغ إجمالي سكانه ٩٨٤٦٠ نسمة<sup>(٩٩)</sup>.

وتفيد هذه الخلاصات الكمية على المستوى المقارن في استنتاج أنّ حركة الاحتجاجات في مدينة حماة وريفها كانت بدرجة أساسية حركة أبناء المدينة (المركز) الراسخة تاريخياً، بينما كانت في حمص حركة أبناء الأطراف العشوائية وشبه المنظمة المنحدرة في معظمها من أصول بدوية، والمتشكلة منذ الستينيات حول مدينة حمص، والتي يصل حجمها السكاني إلى ما يعادل ٤٩-٦٣% من سكان مدينة حمص في التقديرين الأدنى المرئي والتقدير الأعلى غير المرئي<sup>(١٠٠)</sup>. وبذلك كانت الحركات في حماة حركات مركز، بينما كانت في حمص حركة أطراف. وهو ما يفسر عجز الحركة الاحتجاجية في حمص عن الشكل الأعلى وهو العصيان المدني العام، أو حتى الإضراب العام. ولسبب إضافي هو انقسام أسواق المدينة إلى سوقين على غرار ما هو في اللاذقية بسبب احتدام الاصطفاف الطائفي، والذي كان أشده في مدينة حمص<sup>(١٠١)</sup>، بينما تمكّنت حماة منه، وكانت المدينة السورية المتوسطة الوحيدة التي طوّرت الشكل الاحتجاجي لحركاتها إلى شكل العصيان المدني الشامل، وإن استثمرت فيه التضامنية المحلية المدنية أو ما يُعرف شعبياً بـ "الفرزة الحموية". وسيتكرّر مع أواخر تموز/يوليو ٢٠١١ الشكل الحموي في العصيان، وسدّ الطرق بالحواجز في كل من دير الزور وإدلب، وسيقوم الجيش بعمليات جديدة طويلة الأسبوع الأول من آب/أغسطس في هذه المدن الثلاث.

<sup>٩٨</sup> تقدير عدد السكان في سورية للعام ٢٠١٠.

<sup>٩٩</sup> المصدر نفسه.

<sup>١٠٠</sup> محمد جمال باروت (مؤلف رئيسي)، اتجاهات التطور السكانية - المجالية - الاجتماعية - المؤسسية حتى العام ٢٠٢٥، (دمشق: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وهيئة تخطيط الدولة، ٢٠٠٧)، ص. ٣٤٤.

<sup>١٠١</sup> دعا الناشطون إلى إضراب عام في مدينة حمص لكنه لم ينجح، (الوطن، ٢٠١١/٥/١٨).



## تطور الأحداث

دخلت مدينة حماة على خط حركة الاحتجاجات في يوم "جمعة العزة" في ٢٥ آذار/مارس ٢٠١١ بتظاهرة صغيرة بلغ حجمها نحو ١٠٠٠ متظاهر. وانطلقت من مسجد عمر بن الخطاب في حي الشماليّة بالحاضر باتجاه ساحة العاصي دون بلوغها، وهي تهتف بـ "الروح بالدم نفديك يا درعا"<sup>(١٠٢)</sup>. ويعتبر عدد المتظاهرين من الأعداد الضعيفة المحدودة بحجم المصلّين في مسجد عمر بن الخطاب في منطقة "الحاضر" التي تشكّل الفئات الوسطى التقليدية المدنية قوامها البشري والاجتماعي. ويتميز بتكوينه الأكثر محافظةً وتقليديةً بالنسبة إلى مناطق المدينة الأخرى. ويعتبر مسجد عمر بن الخطاب من أكبر مساجد مدينة حماة البالغ عددها وفق الحجم خمسة مساجد<sup>(١٠٣)</sup>، ويستوعب في حدّ أقصى نحو ٢٥٠٠ مصلّ. وبهذا الشكل كان عدد المتظاهرين في بدء الأحداث يمثل نحو نصف المصلّين.

ولم يرتفع هذا الحجم في الجمعة التالية (جمعة الشهداء) إلا بشكلٍ محدودٍ، مقتصرًا على المصلّين في جامع عمر بن الخطاب دون المساجد الأخرى، لكنه ارتفع في "جمعة الصمود" (٨ نيسان/أبريل ٢٠١١) التي هتف المتظاهرون فيها "بالروح بالدم نفديك يا درعا" إلى نحو ٢٥٠٠-٣٠٠٠ متظاهر، بسبب انضمام عددٍ من المصلّين في مسجد الصحابة (طريق حلب) ومسجدي علي بن أبي طالب والسرجاوي (سوق الشجرة)<sup>(١٠٤)</sup> بينما انخرطت مدينة السلمية، التي تبعد نحو ٣٢ كم عن مدينة حماة، وهي مدينة متوسطة الحجم سكانيًا (يبلغ إجماليّ سكان ناحيتها مع المركز ١٣٢٦٢٦ نسمة، بينما يبلغ إجماليّ سكان نواحيها ٢١٤٣٤٢ نسمة<sup>(١٠٥)</sup>) وذات الغالبية الإسماعيلية في هذه التظاهرات (٥٠٠ متظاهر). واتسمت بإنشادها الجماعي للنشيد الوطني السوري<sup>(١٠٦)</sup>. وفي جمعة "الإصرار" (١٥ نيسان/أبريل ٢٠١١)، توجهت التظاهرات في حماة لأول مرة من محيط المساجد إلى قرب ساحة العاصي بوسط حماة، وتحشدت أمام

<sup>١٠٢</sup> لمشاهدة تظاهرة حماة في جمعة العزة، والشعارات التي رفعت، اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=ywviRWqZE7U>

<sup>١٠٣</sup> هي وفق الحجم عمر بن الخطاب (الحاضر) السرجاوي (المحطة)، وعبد الرحمن بن عوف (القصور) وعلي بن أبي طالب (سوق الشجرة) والصحابة (طريق حلب).

<http://www.youtube.com/watch?v=ywviRWqZE7U>

١١، اتبع الرابط التالي:

[https://www.youtube.com/watch?v=2MhX\\_D47tWM&feature=player\\_embedded](https://www.youtube.com/watch?v=2MhX_D47tWM&feature=player_embedded)

<sup>١٠٥</sup> تقدير عدد السكان في سورية لعام ٢٠١٠، مصدر سبق ذكره.

<sup>١٠٦</sup> لمشاهدة تظاهرة مدينة السلمية، اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=NYCrf7EWW3g>

مبنى الأحوال المدنية هاتفة بشعار: "عالجنا رايحين، شهداء بالملايين"، إضافةً إلى مناطق أخرى رفعت فيها التظاهرات شعار "الله أكبر" و"سلمية سلمية، حرية حرية"<sup>(١٠٧)</sup>.

وفي "الجمعة العظيمة" (٢٢ نيسان/أبريل ٢٠١١)، اتسع حجم المشاركة في التظاهرات. ورفع فيها شعارات "سلمية سلمية"، "لا إله إلا الله" و"فرجة فرجة حموية". واتسمت بكونها التظاهرة الأولى التي تتجمع في ساحة العاصي. وفي هذه التظاهرة، سقط الشهيد الأول لحماة وهو صهيب سوتل<sup>(١٠٨)</sup>. وبدأ التحول إلى تظاهراتٍ عامةٍ اعتباراً من هذه الجمعة بارتفاع مشاركة بلدات ومدن ريف حماة الشمالي الصغيرة في حركة الاحتجاجات في المدينة. وكان من أبرزها بلدات ومدن "طيبة الإمام" و"كفرزيتا" و"حلفايا" التي يتراوح بعد كل منها عن المدينة بين ١٠-١٥ كم. وتعتبر بهذا الشكل لصيقةً بحماة بشرياً واقتصادياً وإدارياً وأنثروبولوجياً من ناحية الزي النسوي والمطبخ وعادات الزواج والأفراح والأتراتح. وغير سقوط الشهيد الأول مجرى التظاهرات التي أخذت تتطور بشكلٍ شبه يومي. وكانت السلطات تفرقها بالطرق التقليدية (خراطيم المياه، والغازات المسيلة للدموع، والهرات..)، وأسفر ذلك عن إصابة المتظاهرين بجراح، ولا سيما في المواجهات التي وقعت في منطقة الهجرة والجوازات.

### المجزرة والعصيان المدنيّ الشامل:

وفي جمعة "آزادي" (٢٠ أيار/مايو ٢٠١١)، اتسع حجم التظاهرات، وارتفعت شدتها، وبرز فيها شعار جديد كتب على أحد الجدران بطريقةٍ بدائيّةٍ في منطقة "الشمالية" القريبة من جامع عمر بن الخطاب، والتي تتسم بكونها سوقاً للريف الشمالي اللصيق بحماة، وهذا الشعار هو: "نطالب بحلّ الجيش الخائن وإنشاء جيش وطني"<sup>(١٠٩)</sup>. وعكس هذا الشعار بطريقةٍ معقدةٍ الانبعاث "الحاقد" لثارات الماضي المحنقن الذي تمثل في وقوع عددٍ كبيرٍ من أبناء هذه المنطقة ضحايا إبان حصار حماة وضربها من قبل الجيش في شباط/فبراير ١٩٨٢. ولا تزال آثار ضرب حماة في العام ١٩٨٢ واضحةً فيها، ولا سيما في المنطقة الواقعة بين حيّ "المناخ" وحيّ "الشمالية"، فكانت الآثار الحسيّة لتلك العملية لا تزال حاضرةً ومؤثرةً بهذا القدر أو

<sup>١٠٧</sup> لمشاهدة تظاهرة حماة أمام مبنى الشؤون المدنية، اتبع الرابط التالي :

<http://www.youtube.com/watch?v=eQJzUQwI17A> والرابط الآخر في منطقة أخرى:

[http://www.youtube.com/watch?v=\\_exm1mLGEqA](http://www.youtube.com/watch?v=_exm1mLGEqA)

<sup>١٠٨</sup> لمشاهدة تظاهرة حماة في الجمعة العظيمة، اتبع الرابط التالي:

[https://www.youtube.com/watch?v=tEFWNxpzvf8&feature=player\\_embedded](https://www.youtube.com/watch?v=tEFWNxpzvf8&feature=player_embedded)

<sup>١٠٩</sup> لمشاهدة العبارات التي كتبت يمكن اتباع الرابط التالي:

[http://www.youtube.com/watch?v=\\_i56mxqEXBA](http://www.youtube.com/watch?v=_i56mxqEXBA)

ذاك في توجيه سلوك الاحتجاجات وإثارته. وأخذت شدة التعامل بين الأجهزة الأمنية وبين المتظاهرين منحى تصاعدياً عقب قيام بعض رجال الأمن بالقبض -إبان الاشتباكات بالحجارة بين المتظاهرين وبينهم- على أحد المتظاهرين، وإشباعه ضرباً بالهراوات، مما أدى إلى إلحاق شللٍ دماغي به<sup>(١١٠)</sup>، ثم موته. وألهمت هذه الحادثة المدينة المحتقنة والمندلعة بالانتقام، ورفعت من شدة التظاهرات. ولهذا اختلطت صورة هذا المتظاهر (الدويك) مع صورة الطفل حمزة الخطيب في التظاهرات، ولا سيما في تظاهرة "أطفال الحرية" (٣ حزيران/يونيو ٢٠١١).

في هذا اليوم "الدامي"، ارتكبت أجهزة الأمن مجزرةً مروّعةً عقب انطلاق أكبر وأشد تظاهرتين شهدتهما المدنية خارج إطار المساجد. وانطلقت الأولى من جامع السرجاوي عبر (نزلة الجزدان) باتجاه ساحة المدينة من دون بلوغها، وشارك فيها نحو ٥٠ ألف متظاهر. وانطلقت الثانية من جامع عمر بن الخطاب في "الشمالية" عبر الحاضر باتجاه ساحة العاصي، وكان عدد المتظاهرين كبيراً ويبلغ نحو ١٠٠ ألف متظاهر. وقبل وصول تظاهرة الحاضر إلى ساحة العاصي قرب فرع الحزب، أطلق القنّاصة المتمرسون على سطح فرع الحزب الرصاص بشكلٍ عشوائي على طليعة المتظاهرين. وخلال خمس دقائق كان قد سقط عشرات الشهداء، واثّر مطاردة المتظاهرين المتراجعين إلى منطقة الحاضر زاد عدد الشهداء والجرحى، وبلغ ٥٣ شهيداً، ارتفع عددهم في اليوم التالي إلى ٦٨ شهيداً بسبب وفاة عددٍ من الجرحى الذين أصيبوا بجراحٍ بليغة<sup>(١١١)</sup>.

إثر هذه المجزرة، انسحب رجال الأمن من المدينة. وفي اليوم الموالي خلال تشييع الشهداء، وتاماً على غرار ما حدث في درعا والصنمين ودوما وحمص، خرج رجال حماة تقريباً عن بكرة أبيهم في مواكب عديدة. وفي مقبرة (سريحين)، اصطدم المشيعون بمفرزة أمنية متمركزة قرب المقبرة، وقاموا بملاحقة عناصرها الذين فرّوا من دون إطلاق نار، وتم القبض على أحدهم، وتعريته من كافة ملابسه فيما عدا سرواله الداخلي، وإعدامه وضرب جثته بطريقة انتقامية مروّعة<sup>(١١٢)</sup>. وبينما لم تبدر عن أجهزة الأمن أيّ ردة فعلٍ مباشرة على عملية القتل والتمثيل بأحد عناصرها، فإنّ تفاعل المجزرة التي ألحقتها بالمواطنين قد

<sup>١١٠</sup> للاطلاع على هذا المشهد، اتبع الرابط التالي :

<https://www.youtube.com/watch?v=uObRZ-shU2M>

<sup>١١١</sup> للاطلاع على هذا المشهد، اتبع الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=zgEhN6i7F9A>

<sup>١١٢</sup> لمشاهدة إعدام رجل أمن في حماة، اتبع الرابط التالي:

[http://www.youtube.com/watch?v=u\\_H6to\\_BOyM&skipcontrinter=1](http://www.youtube.com/watch?v=u_H6to_BOyM&skipcontrinter=1)

بلغ ذروته، حيث أعلن الأهالي عن إضرابٍ عام في المدينة لمدة ثلاثة أيّامٍ حداداً على أرواح الشهداء التزمت به جميع الفعاليات الاقتصادية والأهلية باستثناء المشافي والصيدليات بنسبة ٩٩%<sup>(١١٣)</sup>. ويوم "جمعة العشائر" (١- حزيران/يونيو ٢٠١١)، كان الإضراب قد انتهى، لكن المدينة كانت لا تزال في حالة حدادٍ ومأتمٍ شاملٍ، وتظاهرت تحت وطأة الخوف، ولذا أطلق عليها أهل حماة اسم "جمعة الخوف".

مرّت تظاهرات الجمعة التي قدر عدد المتظاهرين فيها بـ ١٥٠ ألف متظاهرٍ في هدوء دون أي احتكاكٍ بين المتظاهرين وبين رجال الأمن بسبب انسحابهم إلى خارج المدينة. ووجدت السلطات الجوّ مواتياً لمحاولة تطبيع الوضع في حماة، فنشرت لجنة التحقيق التي شكّلها رئيس الجمهورية في ١٢ حزيران/يونيو برئاسة اللواء هشام اختيار رئيس مكتب الأمن القومي ورئيس لجنة إدارة الأزمات في القيادة السورية قراراتها. وكان من أبرزها "إعفاء رئيس فرع الأمن العسكري واثنين من معاونيه من مهامهم، ومحاسبة كل من ثبتت مسؤوليته وتقصيره وإدانته في وقوع الأحداث"، و"اعتبار ضحايا أحداث يوم الجمعة شهداء ومنح ذويهم وأسرههم كل التعويضات والميزات بهذا الشأن"، و"إعادة جميع العقارات والأراضي المستولى عليها سابقاً في أحداث عام ١٩٨٢ لأصحابها خلال مدّة أقصاها شهر"، والوعد بتنمية المحافظة، وتأمين فرص عمل للعاطلين عن العمل، وتوسيع المخطط التنظيمي للمدينة بحدود ٢٠٠٠ هكتار<sup>(١١٤)</sup>.

وكالعادة، كان ريف حماة الشمالي منخرطاً بقوةٍ في هذه التظاهرات التي غدت بعد "جمعة الخوف" وانسحاب رجال الأمن من المدينة ظاهرةً يوميةً في ساحة العاصي. وامتدت أشكالها إلى جمعة "صالح العلي" (١٧ حزيران/يونيو ٢٠١١)، التي شهدت مشاركة عدة مئات من الألوف. خلال ذلك، انخرطت لأول مرة الفئات الوسطى الحديثة أو ذات التكوين المهني الحديث بوصفها "فئات" في تظاهراتٍ خاصةٍ بالمحامين والأطباء الذين تجمّعوا في ساحة العاصي. وشارك طلاب كلية الطب البيطري بحماة في تجمعاتٍ خاصةٍ كفئةٍ طلابيةٍ. ويبدو أن هذه الفئات قد تشجّعت على المشاركة بسبب محاولة السلطات احتواء التظاهرات المتوقعة في إطار متفق عليه بين المحافظ وبين القيادات الاجتماعية الحموية، فحوّلتها حرية التظاهر مقابل ضمان عدم تحولها إلى اضطرابات أو ظهور البعض فيها بشكل "مئثم"<sup>(١١٥)</sup>. لكن في

<sup>١١٣</sup> متابعات ميدانية قام بها فريق من الباحثين في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات لصالح البحث.

<sup>١١٤</sup> تألفت اللجنة من اللواء هشام اختيار رئيس مكتب الأمن القومي وأسامة عدي رئيس مكتب الفلاحين القطري، وأحمد عبد العزيز محافظ حماة. **الوطن** (السورية). أما في شأن اعتقال الذين قاموا بقتل رجل الأمن، فقد نقلت **"الوطن"** بأن "التحقيقات لا تزال جارية لكشف هوية منفذي عملية الإعدام المروعة بحق أحد موظفي الدولة". **الوطن** (السورية)، ٢٠١١/٦/١٢.

<sup>١١٥</sup> قدرت صحيفة **الوطن** (السورية) شبه الرسمية عدد المتظاهرين بـ ٤٠ ألفاً، واعتبرت أنها التظاهرة التي "تعد الأولى من نوعها في حماة وإن كانت غير مرخصة. من حيث سلميتها وتنظيمها والتزام المتظاهرين بأدبيات التظاهر، التي تعهدوا بالالتزام بها للمحافظ، شريطة السماح لهم بالنزول إلى ساحة العاصي، مركز المدينة"، وأنهم قاموا بعد ذلك بـ "تنفيذ حملة نظافة عامة" (**الوطن** (السورية)، ٢٠١١/٦/١٩).

٢١ حزيران/يونيو ٢٠١١، وعقب خطاب الرئيس السوري، دعت فعاليات اقتصادية وسياسية سورية إلى تنظيم تظاهرات تأييد وولاء. وفي حماة تطورت هذه التظاهرات التي شكّل أبناء الريف الغربي لحماة قوامها الأساسي، إلى اشتباكات بين المؤيدين والمعارضين بالحجارة. وتدخلت قوات الأمن إلى جانب متظاهري الريف الغربي، و خلال ذلك قتل ثلاثة (٣) أشخاص آخرين. في اليوم التالي، تم تشييع الشهداء، وسط غضب الأهالي وغياب الأمن، ثم خرجت أكبر تظاهرة في تاريخ الحركة في حماة في ("جمعة ارحل" - ١ تموز/يوليو ٢٠١١)، دون أي صدامات. وأعفي في هذا السياق محافظ حماة أحمد عبد العزيز من منصبه، وعين محافظ جديد من أبناء حماة<sup>(١١٦)</sup>. كما أعيد العميد محمد المفلح رئيس فرع الأمن العسكري الذي كانت اللجنة القطرية العليا قد أعفته من منصبه وأوقفته مع اثنين من معاونيه إلى منصبه<sup>(١١٧)</sup>. وقامت قوى الأمن بحملة اعتقالات طالت ٢٥٠ شخصاً<sup>(١١٨)</sup>. وأطلق ذلك شرارة العصيان المدنيّ الشامل بحماة، الذي شكّل تحولاً جذرياً في أشكال الحركة الاحتجاجية السورية، وأدخل المدن السورية في مرحلة الإضرابات السلمية العامة.

عاد التوتر من جديد في ظلّ وجودٍ أمنيّ كثيفٍ، فقطع الأهالي الطرق بحواجز وحوايات قمامة وقطع القرميد وإحراق دواليب مطاطية لمنع رجال الأمن المتمركزين في ساحة العاصي من الدخول إلى الأحياء، ممّا أسفر عن مواجهاتٍ استخدم فيها الأهالي الحجارة، وقتل في هذه المواجهات ٢٦ شخصاً من الأهالي. وفشل الأمن في استعادة السيطرة على المدينة، وانتشرت الشائعات عن عزم الجيش على دخولها، فانتشرت الحواجز وأدخنة الإطارات المطاطية في كلّ مكان. كان الأهالي قد استعدوا للمواجهة مع الجيش، فقاموا بإخلاء المدينة من الأطفال والنساء على الرغم من إعلان وزير الخارجية السوري عن أنّ الجيش لن يدخل حماة. وسدّوا المداخل وكافة الطرق ومفارق أحياء المدينة بـ "الحواجز والدواليب المحترقة والبلوك والحجارة"

<sup>١١٦</sup> هو أنس الناعم، (الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/١١). تزامنت عملية إقالة المحافظ مع إعادة رئيس فرع الأمن العسكري الذي أعلن عن عزله وتوقيفه مع اثنين من معاونيه إلى منصبه، وفسرت بعض قوى المعارضة إقالة المحافظ " بسبب أنه أثبت كفاءته ونجاحه في ضبط الشبيحة وتجاوزات المخبرات". (بيان هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الوطني الديمقراطي في سورية، "تحية إلى حماة وأهلها، تحية إلى كل أبناء شعبنا المكافح"، ١٣ تموز/يوليو ٢٠١١).

<sup>١١٧</sup> تمت المطابقة بين المعلومات الميدانية حول عودة العميد إلى منصبه وبين ما أكده حول ذلك بيان هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الوطني الديمقراطي في سورية (المصدر السابق)، حيث يذكر البيان "وأعدت تكليف الضابط المسؤول عن مجزرة أطفال الحرية كمسؤول أمني رئيس عن المدينة بعد أن زعمت أنه اعتقل وسيقدم للمحاكمة"، (متابعات ميدانية).

<sup>١١٨</sup> متابعات ميدانية مع أكثر من مصدر مستقل للتوثيق من الواقعة.

للحيلولة دون عودة دخول الجيش إليها<sup>(١١٩)</sup>، بشكلٍ لم يكن ممكناً فيه لأي غريبٍ عن هذه الأحياء أن يدخل إليها.

كانت لجان العصيان قد تشكلت بشكلٍ محلي إثر الاعتقالات، وسريان شائعات على أن قائمة المطلوبين تشمل ٢٤ ألف شخص من شباب المدينة. ودفع ذلك الشباب إلى الاصطفاف. وتمّ العصيان في شكل حماية كلّ حي لنفسه من قبل سكانه. وتألّف التركيب الاجتماعي للجان الميدانية من العامة والشباب المتعلم، ولا سيما منه طلبة الجامعات<sup>(١٢٠)</sup>.

في هذه الشروط، حصلت زيارة السفيرين الأميركي والفرنسي إلى حماة في ٧ تموز/يوليو ٢٠١١، وسط توري عناصر الأمن عن الظهور، ممّا أدّى إلى تجمهرٍ كثيفٍ في جمعة "لا للحوار" (٨ تموز/يوليو ٢٠١١). وقد استقبل وجهاء المدينة السفيرين، بينما رفض إمام مسجد السرجاوي استقبلهما، والسماح لهما بدخول المسجد، بسبب ما أشيع عن أنّ مهمة السفيرين تتمثل في التوسط بين الحكومة والمتظاهرين. لكن قادة مجموعات الشباب سمحوا للسفيرين بعبور الحواجز لتفقد بعض الأحياء القريبة من فندق "أفاميا الشام" الذي أقاما فيه. ونقل وجهاء المدينة عن السفير الأميركي أن ما رآه في حماة هو متظاهرون سلميّن وليس عصاباتٍ مسلحةً حسب ما تدعي السلطات، مما دفع بعض الشباب إلى وداعه بشكلٍ احتفالي، وتوديعه بأغصانٍ خضراء وبعض الورود وهم يرددون هتافات "الشعب يريد إسقاط النظام"<sup>(١٢١)</sup>. وتلعتمت المعارضة السورية تجاه ذلك بين مبرّرٍ للزيارة وبين مراتبٍ منها، وبين من يرفض مبدأ التدخل الأجنبي. وأصدرت المعارضة المنظمة في الداخل، والمتمثلة في "هيئة التنسيق الديمقراطية" بياناً تتهم فيه الزيارة بأنها نتيجة

<sup>١١٩</sup> **الوطن**، ٢٠١١/٧/٧. ويتطابق ما نشرته الصحيفة مع المتابعات الميدانية لواقع الحال في مدينة حماة، والتي قام بها الباحث في المركز حمزة مصطفى. والخلاف بين **الوطن** وبين المتابعة الميدانية أن الصحيفة تحدثت عن سواتر، بما يوحي بسواتر ترابية بينما لم يكن هناك سواتر من هذا النوع.

<sup>١٢٠</sup> معلومات ميدانية لصالح البحث. للاطلاع على نماذج الحاويات والأكياس الترابية والحواجز القرميدية والشعارات على الجدران وغيرها، اتبع الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=WWushvpbUGk>

<sup>١٢١</sup> لمشاهدة وداع السفير الأميركي في حماة في جمعة لا للحوار، اتبع الرابط التالي:

<http://www.youtube.com/watch?v=bzgwkw2asILA> اتهمت المستشارة الرئاسية بثينة شعبان السفير بالاجتماع مع المسلحين، وأن الأحياء التي دخلها لا يمكن دخولها إلا بمرافقة المسلحين (تقرير زياد حيدر، السفير (البنانية))، الرابط:

<http://www.assafir.com/Article.aspx?EditionId=1891&ChannelId=44581&ArticleId=1009>  
<http://www.assafir.com/Article.aspx?EditionId=1891&ChannelId=44581&ArticleId=1009>

توترت العلاقات بين دمشق وواشنطن، وفي هذا السياق تطور التوتر ليأخذ شكل هجوم متظاهرين على السفارتين الأميركية والفرنسية بدمشق. وأحرقوا بعض سياراتها وكسروا الزجاج وجرحوا بعض الحراس، ورفعوا العلم السوري فوقهما. واتهمت واشنطن "مولين" للرئيس بشار الأسد بالوقوف وراء الهجوم على سفارتها. وكانت هذه هي المرة الثانية التي تهاجم فيها السفارة الأميركية بعد هجوم العام ١٩٩٨.

"تواطؤ مكشوف" بين السلطة وهؤلاء السفراء، ويقع في إطار ممارساتٍ "تشرّع الأبواب أمام مختلف أشكال التدخل الخارجي إقليمياً ودولياً"<sup>(١٢٢)</sup>.

في ١١ تموز/يوليو ٢٠١١، عيّن أمين فرع الحزب محافظاً لحماية. ورهن المحافظ الجديد تنفيذ "مطالب" الأهالي بـ "إزالة الحواجز وعودة الحياة إلى المدينة والتوقف عن الخروج للتظاهر بشكل نهائي"، كـ "سلّة متكاملة" على أساس صيغة «لا غالب ولا مغلوب». ويبدو أنّه قصد من التوقف عن التظاهر التوقف عن التظاهر اليومي أو التظاهر دون رخصة، أي عن أشكال التظاهر الاحتجاجية والاكتفاء بما يمكن تسميته بالتظاهرات التعبيرية. وفي إطار هذه "المطالب التي تشتمل عليها السلّة" يقع «إطلاق سراح المعتقلين، والكف عن حملات الاعتقال، والسماح بالتظاهر السلمي»<sup>(١٢٣)</sup>. لكن الصيغة سرعان ما تطوّرت إلى الحوار مع قادة المجموعات الميدانية التي تتولى الإشراف على الحواجز وحماية الأحياء: «الحوار يجري على قدم وساقٍ مع تلك المجموعات حتى التي تطالب بإسقاط النظام» و"رئيس الجمهورية وعد بتحقيق كلّ المطالب الخدمية والقانونية مقابل إيقاف الشغب والتظاهرات"<sup>(١٢٤)</sup>.

ويرز جامع "السرجاوي" كإطارٍ للاجتماع ما بين القيادات المحلية وقيادات المتظاهرين للتفاهم مع السلطات، وأدّى ذلك تلقائياً إلى بروز دور إمام جامع السرجاوي الشيخ مصطفى عبد الرحمن كلاعب أساسي في التنسيق بين السلطات المحلية وبين المتظاهرين<sup>(١٢٥)</sup>. بينما تباينت المواقف والاتجاهات بشكل حاد بين قادة المجموعات وبينهم وبين القيادات التقليدية حول "التسوية"<sup>(١٢٦)</sup>: «المناقشات التي تمت أظهرت تبايناً حاداً في الآراء واختلافاً في وجهات النظر حتى بين المشايخ أنفسهم، فمنهم من دعا إلى الاستجابة لمناشدات السلطات المحلية، ورفض البعض الآخر». وبحلول الثالث عشر من تموز/يوليو ٢٠١١، غدت المدينة في حالة عصيانٍ مدني شاملٍ، من دون أن يتمكن الأمن من السيطرة على الوضع. وكانت أسواقها مغلقةً لليوم الحادي عشر<sup>(١٢٧)</sup>. وبينما طلبت السلطات فتح المدينة ورفع الحواجز لتلبية المطالب، اشترط

<sup>١٢٢</sup> أصدرت هيئة التنسيق الديمقراطية في ١٣ تموز/يوليو ٢٠١١ بياناً يحمل عنوان: "تحية إلى حماة وأهلها، تحية إلى كلّ أبناء شعبنا المكافح"، اتهمت فيه السلطة بـ"التواطؤ المكشوف" مع بعض السفراء الغربيين بتمكينهم من زيارة حماة لاتهام الانتفاضة بأن وراءها قوى خارجية.

<sup>١٢٣</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/١٢. وتتلخص شروط الأهالي في ما يلي: - الإفراج عن جميع المعتقلين في المدينة، وانسحاب الأمن منها، وعدم تدخله في الشؤون اليومية، ووقف حملة الاعتقالات، والسماح بالتظاهر السلمي في ساحة العاصي (متابعة ميدانية).

<sup>١٢٤</sup> الوطن، (السورية)، ٢٠١١/٧/١٣.

<sup>١٢٥</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/١٢.

<sup>١٢٦</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/١٣.

<sup>١٢٧</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/١٣.

قادة المجموعات المدنية تنفيذ هذه المطالب<sup>(١٢٨)</sup>. والحقيقة أن اللجان الميدانية استعدت للمواجهة، فأُخلت النساء والشيوخ والأطفال الذين انتقلوا إلى مناطق ومدنٍ أخرى، ولم يبق في حماة سوى الشباب. في أواسط تموز/يوليو ٢٠١١، أخذت وتيرة العصيان المدني الشامل في التراجع، والتحول إلى وتيرة الإضراب ليومٍ محدّدٍ، وشكّل ذلك مرحلةً جديدةً في التطور السياسي في حياة المدينة.

<sup>١٢٨</sup> **الوطن** (السورية)، ٢٠١١/٧/١٤. نقلت جريدة **(الوطن)** عن مراسلها أن بعض المجموعات "قامت أمس - في ١٣ تموز/يوليو - بالهجوم على الدبابات الواقفة على جسر المزارب بزجاجات المولوتوف ثلاث مرات. وصدّهم الجيش من دون وقوع أي حادث أمني أو سقوط قتلى أو جرحى. كذلك قامت بتحطيم أعمدة الكهرباء واستخدامها في تدعيم الحواجز على الدوار غرب جسر المزارب، إضافة إلى إغلاق الطرقات بإشعال الدواليب ساعات، ما اضطر الجيش لإخمادها. وأكد مصدر محلي في اتصال هاتفي مع «الوطن» أن (م. ر. ق) وجدّ أمس مقتولاً في منزله، بعد أن اتهم أنه عميل أو مخبر للأمن. كما تعرض المصدر نفسه (ع.س.ش) مواليد مشاع جنوب الملعب ١٩٥٥، لاعتداء سافرٍ من تلك المجموعات، التي سحبت من ساحة العاصي إلى منطقة عين اللوزة بسيارة، وضربته ضرباً مبرحاً حتى فقد وعيه، بحجة أنه منظم في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة"، (المصدر السابق).



## حمص: انحطاط الصراع الاجتماعي - السياسي وتدهوره

## جرائم الكراهية: اضطرابات أواسط تموز/يوليو

في أواسط تموز/يوليو ٢٠١١، خيمَ شبح الاضطراب الطائفي على حمص خصوصاً وعلى المناطق التي تتميز بحدّة الانقسام الطائفي عموماً. ويات مصطلح "الحرب الطائفية" أكثر رواجاً في المعجم التداولي اليومي، إذ اندلعت "أعمال عنف بين السكان" بعد قيام إحدى المجموعات في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١١ بـ "خطف أربعة شبان علويين" (١٢٩)، وقتلهم وتقطيع أوصالهم ورميهم في الشارع<sup>(١٣٠)</sup> المسمى بـ "بساتين الخراب" القريب من حيّ الوعر بحمص. وكان ذلك مجرد مظهرٍ "مريع" من مظاهر التوتر والانقسام الأهليين اللذين كانت نذرهما قد توضحّت منذ منتصف نيسان/أبريل ٢٠١١. ووصلت الأمور إلى حدّ امتناع بعض أبناء كل من الطائفتين عن بيع أية مادة لأبناء الطائفة الأخرى<sup>(١٣١)</sup>، وقيام أبناء كل طائفةٍ بالنزوح من الأحياء المختلطة التي تشكل الطائفة الأخرى غالبيتها. وبذلك تمّ الفرز الطائفي بين الأحياء، ووصلت الأمور إلى درجةٍ من الاحتقان عندما قسّمت حمص إلى أحياء سنّية وأحياء علويةٍ تفصلها مناطق تماس كما هي الحال في شارع القاهرة القريب من منطقة الخالدية<sup>(١٣٢)</sup>. لكن ما حدث من قتل الشبان كان يطرّو الانقسام إلى شكله "البشع"، وهو شكل "جرائم الكراهية" التي دشنتها في البداية "جريمة البيضا" ببانياس، ثم وتّرتها صورة جثة الطفل الشهيد حمزة الخطيب. وتمّ الردّ عليها بأنواعٍ مماثلةٍ مضادةٍ من قبيل إعدام عنصر الأمن في حماة. لقد اختلط الصراع السياسي - الاجتماعي للأحياء المهمّشة الحمصية؛ في ظل سلطةٍ جسّدها في حمص دكتاتور صغير بمرتبة محافظٍ، وممارسات أمنية أودت بحياة أحد شيوخ العشائر، وهو المضمون الجوهرية للحركات الاحتجاجية؛ بالصور الأبعث لجرائم الكراهية، وهي الصور الطائفية. وكان تيسير قيام "شبيحة" علويين بأعمال القمع في حمص يزيد في توتير الصورة الطائفية المرعبة لثقافة الكراهية وجرائمها وسلوكها النفسي والحسي في وقتٍ واحدٍ.

<sup>١٢٩</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١-٠٧-١٧. وفق ما ذكرته "الوطن" فإن هؤلاء الشبان كانوا على ما يبدو من الناشطين المعروفين في المدينة والجامعة، إذ أطلقوا على أنفسهم اسم "عشاق سورية". وكانوا يعدون لتصميم أكبر هويّة سورية، عبر حملة توقيع على العلم السوري على طريقة تصميم تظاهرات الموالين والمعارضين للعلم السوري. قارن أيضاً مع ما نشرته الوطن (السورية) على الرابط التالي:

<http://alwatan.sy/dindex.php?idn=105068>

<sup>١٣٠</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/١٩.

<sup>١٣١</sup> محادثات شخصية أجراها الباحث مع بعض متابعي شؤون حمص وناشطيها.

<sup>١٣٢</sup> صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، الرابط:

<http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=631587&issueno=11920>

سرعان ما تطوّر الشكل الطائفيّ للانقسام الأهلي في هذا السياق على إيقاع قتل الشبان العلويين الأربعة، وتوتر الصدمات والهتافات حول تفكيك النصب بشكلٍ دراماتيكي إلى قيام هجماتٍ متبادلةٍ بين شبان بعض الأحياء العلوية مثل الزهرة والنزهة وعكرمة والأحياء السنّية مثل الخالدية وباب السباع<sup>(١٣٣)</sup>. وعلى خلفية هذه الحوادث، شهدت أحياء الزهرة والنزهة وعكرمة (أحياء علوية)، والخالدية وباب السباع (أحياء سنّية) أعمال شغبٍ، بدأت بقيام شبان بالهجوم على محلاتٍ تجاريةٍ في الخالدية وتكسيروها والتكثيل بأصحابها. وتبعها مباشرة قيام مجموعةٍ أخرى من الشباب بالهجوم على المحلات التجارية في شارع الحضارة<sup>(١٣٤)</sup>. وتطوّر الأمر إلى اشتباكات بين الجانبين في أحياء التماس، وخاصة الخالدية وشارع القاهرة. واستمرت هذه الاشتباكات على مدى ثلاثة أيام (السبت ١٦ إلى الاثنين ١٨ تموز/يوليو). وأسفرت عن سقوط ١١ شخصاً من الجانبين<sup>(١٣٥)</sup>. وتدخل الجيش وقام بالعزل ما بين الأحياء<sup>(١٣٦)</sup>، ووقعت اشتباكات بينه وبين مجموعات مسلحة<sup>(١٣٧)</sup>.

### عصيان البوكمال: العقيدات بعد "البقارة" في المواجهة:

تتتمي مدينة "البوكمال" إلى منظومة المدن السورية الصغيرة، إذ لا يتجاوز حجمها السكاني الفعلي وفق تقديرات العام ٢٠١٠ الـ ٥٠٤٨٠ نسمةً، بينما يبلغ حجم سكان ناحيتها ١١٠١٠٥ نسمة<sup>(١٣٨)</sup>. ويتألف النسيج البشري للبوكمال بدرجةٍ رئيسةٍ من عشائر "العقيدات"، بل إن اسم المدينة هو تحريف للبوكمال

<sup>١٣٣</sup> أثناء قيام موظفي مجلس مدينة حمص بمحاولة تفكيك نصب الرئيس الراحل حافظ الأسد، وسط تهليل مجموعةٍ من الشبان لذلك، ووصول مجموعةٍ حاولت منع إتمام عملية تفكيك النصب. إذ تطورت الهتافات المتضادة و"الاستفزازية" بين المجموعتين إلى اشتباك بالأيدي، واستخدام السكاكين، (معلومات ميدانية تمّ تثبيت خطوطها الأساسية المتفق عليها دون تفاصيلها الخلافية الأخرى).  
<sup>١٣٤</sup> صحيفة الشرق الأوسط اللندنية

<http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=631587&issueno=11920>

عاشت حمص خلال منذ منتصف شهر نيسان/أبريل على وقع احتقان طائفي تجلّى في هجرة ونزوح داخلية لعائلات علوية قاطنة في أحياء ذات أغلبية سنّية والعكس صحيح. ووصلت الأمور إلى درجة من الاحتقان عندما قسّمت حمص إلى أحياء سنّية وأحياء علوية، يفصلها مناطق تماس كما هي الحال في شارع القاهرة القريب من منطقة الخالدية.

<sup>١٣٥</sup> اتفقت الحصيولة الرسمية النهائية للضحايا مع حصيولة ناشطي اللجان التنسيقية على تسجيل سقوط ١١ شخصاً من الجانبين. قارن مع الوطن (السورية) ١٩-٧-٢٠١١.

<http://www.alwatan.sy/index.php>

<sup>١٣٦</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/٢١

<sup>١٣٧</sup> شيع مشفى حمص العسكري في يوم ٢٠١١/٧/٢٠ جثامين ثلاثة شهداء من الجيش والشرطة استهدفتم تنظيمات إرهابية مسلحة في حمص إلى مدنهم وقراهم.

والشهداء هم العريف المجند علي ثابت ديوب من اللاذقية، والجندي المتطوع رامي عصام مصلى من حمص، والشرطي محمد سامي عيسى من طرطوس. الوطن ٢٠١١/٧/٢١.

<sup>١٣٨</sup> تقديرات سكان سورية، مصدر سبق ذكره.

ويلفظ البوكمال، وهم من شيوخ العقيدات<sup>(١٣٩)</sup>. ولا يزال هذا التركيب -على الرغم من عملية التمدين والتحديث التي دخل فيها مجتمع العقيدات- مهيمناً حتى الآن على النسيج البشري للبوكمال، ويمثل أقوى عصبياتها. وانحصرت رئاسة العقيدات منذ عقودٍ طويلةٍ بعائلة الدندل التي خرج منها بعض أكفأ الشيوخ المثقفين والمسيحين مثل دحّام الدندل النائب البعثي في الخمسينيات. وفي نهاية المطاف تحوّل البيت "الدندلي" إلى أحد أبرز البيوتات العشارية المعادية لحكم حزب البعث، فانضمَّ أحدُ زعمائهم وهو أمير المشرف دندل إلى قوى المعارضة، وتحديداً إلى أقطاب العشائر في "إعلان دمشق".

دخلت البوكمال متأخرةً نسبياً على خط حركات الاحتجاجات، وأخذت وتيرة احتجاجاتها تتطور لتبلغ ذروتها في ١٠ حزيران/يونيو (جمعة العشائر)، حيث تظاهر رجال البوكمال وهم يهتفون "الشعب يريد إسقاط النظام". وتميزت التظاهرة بتنظيم جيد، إذ حُضرت لافتات كبيرة لرفعها<sup>(١٤٠)</sup>. وفي أوائل تموز/يوليو ٢٠١١ اشتدت وتيرة التظاهرات، وحملت في ٩ تموز/يوليو شعاراتٍ معاديةً للرئيس الأسد ومطالبة بإطلاق سراح المعتقلين، وبشعارات: "عاشت سورية، يسقط الأسد" و"شعبك مفلس ياريس" و"ارحل ارحل يا بشار"<sup>(١٤١)</sup>. وفي يوم السبت ١٦ تموز/يوليو، ثارت البوكمال، وداهم المحتجون -وفق الرواية الرسمية- بعض المؤسسات العامة. وكان في عدادها المحكمة ومخافر الشرطة ومفرزة الأمن الجوي، واستولوا على عدد من الأسلحة<sup>(١٤٢)</sup>، وسوّيت المسألة عبر وساطة قيادات المجتمع المحلي<sup>(١٤٣)</sup>، لتستمر أشكال الاحتجاج في شكل تظاهرات سلمية.

## خلاصة تركيبية للمستوى الأفقي لحركة الاحتجاجات: الأشكال الستة

مع نهاية الأسبوع الأول من آب/أغسطس ٢٠١١، بات واضحاً على المستوى الأفقيّ أو المورفولوجي أو البنية الخارجية الظاهرة، أنّ الاستراتيجية الأمنية واستخدام الجيش كبديلٍ عن العجز الأمنيّ، قد توّظت في

<sup>١٣٩</sup> اللبدي أن بلنت، قبائل بدو الفرات، ترجمة أسعد الفارس ونضال خضر معيوف، (دمشق: دار الملاح، ١٩٩١)، ص-ص ١٣٠. قارن مع: عمر الصليبي، لواء الزور في العصر العثماني اجتماعياً واقتصادياً، (دمشق: مطبعة دار العلم، ١٩٩٧)، ص ٢٥.

<sup>١٤٠</sup> للاطلاع على التظاهرة، انظر الرابط التالي:

[http://www.youtube.com/watch?v=FwigSJ4PTQU&feature=player\\_embedded](http://www.youtube.com/watch?v=FwigSJ4PTQU&feature=player_embedded)

<sup>١٤١</sup> للاطلاع على مجريات المشهد، اطلع على الرابط:

<http://teknikdestek.tv/fwd--izle-4qLBrrXZrbSqsdk.html>

<sup>١٤٢</sup> [http://www.alwatanonline.com/local\\_news.php?id=6788](http://www.alwatanonline.com/local_news.php?id=6788)

[http://www.alwatanonline.com/local\\_news.php?id=6788](http://www.alwatanonline.com/local_news.php?id=6788)

سانا ٢٠١١/٠٧/١٦

<sup>١٤٣</sup> الوطن (السورية)، ٢٠١١/٧/١٩

فخ" استراتيجي" يتمثل في ارتفاع وتائر التظاهر، واشتداد كثافته في الأماكن كافة التي تمّ فيها تطبيق استراتيجية حصار المدن، ومحاولة القبض على "المطلوبين" فيها. كما تسبب في إحداث كوارث إنسانية "مفاجئة"، تمثلت في النزوح القسري إلى دول مجاورة. ولهذا اضطر الجيش أن يدخل ويخرج ثم يعود إلى الدخول، أو أن يربط مستنفراً حول المدن. وكشفت المرحلة الماضية عن اشتغال ديناميّة أساسية في العلاقة الطردية بين القمع وارتفاع وتيرة التظاهر وكثافته. وهذا تعبير بالضبط عن التورط في "فخ" استراتيجي، ساهمت فيه المثيرات الأمنية والعسكرية بشكلٍ رئيسٍ في توتير حركة الاحتجاجات، وفي وصولها إلى نقطة اللاعودة، وارتفاع كثافتها وشدتها وإصرارها، وبدء طرقها أبواب المدن "المليونية"، متحوّلةً بسرعاتٍ مختلفةٍ من الأطراف إلى المركز، ولاسيما في دمشق الإدارية الصغرى. فلا الاستراتيجية الأمنية العسكرية تستطيع إخمد التظاهرات ولا المحتجون يعودون إلى بيوتهم. وهنا يكمن إخفاق الاستراتيجية الأمنية.

وقد وقعت خلال هذه المرحلة أحداث متواترة تشكّل في مجملها مشاهد قابلة للتميط الإجرائيّ المرحلي، وتتنوع على المورفولوجي بين سنّة أشكال، هي شكل **العصيان المدني العام** (حماة، دير الزور ونسبياً مدينة إدلب) الذي يعتبر من أعلى الأشكال المدنية لحركات الاحتجاج، وشكل **العصيان المسلح** (جسر الشغور) ذي الطابع الفلاحي الفقير بمدنيته ونضجه الديمقراطي، وشكل **الإضراب العام** لأيام محدّدة (مدينة إدلب)<sup>(١٤٤)</sup>، وشكل **التظاهرات الشعبية الألفية** (ألف وما فوق متظاهر) السلمية والمدنية، وشكل **الاعتصامات المدنية** (ساحة الحرية بدير الزور وساحة العاصي بحماة). وبرز شكل مرافق يعتبر من أخطر الأشكال المورفولوجية التي أظهرها تاريخ الحركة الاحتجاجية، وهو شكل **التوتر الطوائفي** الذي برز في المدن والمناطق المختلطة مذهبياً ودينياً في مدن اللاذقية وحمص وجبلة وبانياس، وفي ريف حماة الغربي كما في ريف حمص المركّب مذهبياً. وأخذ شكل تسييس هوياتي للصراع السياسي-الاجتماعي، تمثلت مظاهره في تواتر "جرائم الكراهية" في العديد من الأماكن، وإطلاق العنان لدينامية "التشفي" العدوانية، وتشكيل نوع من شبه "كانتونات" أمنية ذاتية. كما أخذ شكل هجرة القرى العلوية في جسر الشغور منها، وشكل هجرة أهالي حماة إلى المدن والمناطق الأخرى، ونزوح المجموعات المذهبية التي تشكل أقلية سكانية في الأحياء المدنية التي تقطن فيها إلى أحياء التجانس والاصطفاف الطائفي، وانتشار ثقافة "التطيف"

<sup>١٤٤</sup> لم ينجح أول إضرابٍ دعي إليه على مستوى سورية في إدلب، أما الإضراب الذي نجح بنسبة ٩٩% فهو إضراب يوم الأحد ٢٠١١/٧/١٧. وسبب نجاحه هو الرد على المثير الأمني المتمثل في استشهاد طالب الطب محمد سيد عيسى، الذي قتل أثناء الصلاة داخل جامع سعد بن أبي وقاص يوم الجمعة ٢٠١١/٧/١٥. وأما الإضراب الثاني الناجح بالنسبة نفسها، فكان يوم الأحد ٢٠١١/٨/٧، وكان على إثر استشهاد كل من علاء مشلح وإبراهيم شحود ومحمد غريب وحسان سليمان عوض يومي الجمعة والسبت ٥ و ٦/٨/٢٠١١ على أيدي قوات الأمن العسكري. (من رسالة خطيب بدلة إلى الباحث في ١١ آب/أغسطس ٢٠١١). وتنبّت الصحافة السورية واقعة الإضراب العام، حيث كتبت "الوطن" (السورية) بخصوص هذا الإضراب في عددها ليوم ٢٠١١/٧/١٨، ما يلي: "توقفت الحياة فيها أمس وبقيت المحلات مغلقة".

(نسبةً إلى الطائفية) بما يرافقها من مضامين الكراهية والاستقطاب وسيادة أشكال الوعي الزائف المقلوب بالصراع السياسي- الاجتماعي. وفي حين تبدو الأشكال الأربعة وهي أشكال: العصيان المدني، والإضراب العام، والتظاهرات الشعبية الاحتجاجية السلمية، والاعتصامات المدنية -على مختلف وتأثرها-، هي الأشكال المهيمنة على السمة الأساسية المميزة للحركات الاحتجاجية السورية، فإن شكل العصيان المسلح الفلاحى التقليدي الذي يأخذ شكل "الغزو" و"التخريب" و"الاضطراب الدموي"، والاضطراب الطائفي، هما شكلان مرافقان، وثنويان مع خطورة حضورهما وتأثيرهما في ديناميات الاستقطاب. وفي هيمنة الأشكال المدنية الأربعة، سجلت تجربة الشهور الماضية ولادة إنسانٍ سوريٍّ جديدٍ، حطّ ديناميات النظام الأمني المسيطر -وهي ديناميات التخويف- إلى لا رجعة. أما المستوى التكويني أو البنية الداخلية لحركات الاحتجاج فستركز عليها في الفصل اللاحق.